الحركات في اللغة العربية

دراسة في التشكيل الصوتي

د. زيد خليل القرالّة
أستاذ مساعد (قسم اللغة العربية)
جـامعة آل البيت

عالم الكتب الحديث
اربد- الأردن
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/٥/١١٩١)

٤١٨,١

القرالة، زيد

الحركات في اللغة العربية: دراسة في التشكيل الصوتي/ زيد خليل القرالة
_اربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤.

(   )ص.

ر.إ: ٢٠٠٤/٥/١١٩١.

الواصفات: /النطق// علم الأصوات
//اللغة العربية/

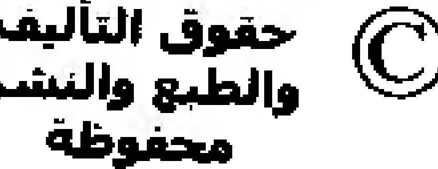
تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

عالم الكتب الحديث
للنشر والتوزيع

الأردن - اربد شارع الجامعة- بجانب البنك الإسلامي
تلفاكس(٩٦٢-٢-٧٢٧٢٢٧٢)
الرمز البريدي(٢١١١٠)
صندوق البريد(٣٤٦٩)

Modern World Books
Publishers

Irbid-Jordan
TelFax (962-2-7272272)
P.O.Box 3469 Irbid 21110
Jordan.



رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٤/٥/١١٩٠

مقدمة:

تـــتكون اللغـــة العربـــية مـــن نسيج متكامل من الأصوات بأنواعها: الصـــوامت، والحركات، وأشباه الحركات، إضافة إلى الفونيمات غير التركيبية مـــثل النبر والتنغيم، وقد ظهر الاهتمام باللغة العربية ومكوناتها في وقت ظهرت الحاجـــة لهذا الاهتمام، وكان ذلك دافعاً لتكثيف جهود العلماء بدراسة العربية والتفصيل في مكوناتها وقواعدها.

لقـــد ظهـــر الاهتمام باللغة العربية منذ عهد أبي الأسود الدؤلي، وهي مـــرحلة البداية، ثم جاء دور الخليل وسيبويه ومن تبعهم، غير أن الملاحظ على هذه المرحلة أنها وجهت اهتمامها إلى الأصوات الصامتة، فلم تأخذ الحركات قـــدراً مـــن الدراســـة والاهـــتمام مقارنة مع الصوامت، وأحسب أنهم نظروا للحركات على أنها تابعة للصوامت؛ فجاء الاهتمام بالصوامت التي تشكل جذر الكلمة وهيكلها الرئيس.

ومع أن الإشارة للحركات قد وردت لدى الخليل، وسيبويه، والفراء، والفارســـي إلا أنهـــا بقيت ترد على هامش الحديث عن الصوامت، و لم يتبلور الاهـــتمام بالحركات إلا على يد ابن جني؛ فقد تحدث عنها بشيء من التفصيل في مؤلفاتـــه وخاصـــة (سر صناعة الإعراب)، ثم تلاه ابن سينا الذي حاول أن ينظر للأصوات من جانب تشريحي، وهي نظرة دقيقة، وأحسب أن الإشارات الصوتية لدى علماء اللغة بعد ابن جني كانت في معظمها تتكئ على آرائه.

وفي العصـــر الحديث بقي اهتمام العلماء ينصب على دراسة الأصوات الصوامت، وأي عرض للحركات إنما يأتي بشكل ثانوي من خلال الحديث عن الصوامت، باستثناء الدراسة التي أفردها غالب المطلبي لأصوات المد العربية، وقد

جاء اهتمام هذه الدراسة بأصوات المد في اللغات السامية، وفي اللهجات العربية السـائدة، إضافة إلى الوقوف عند آراء القدماء وتقديسها، فلم يعمد إلى إعطاء الحركات خصوصيتها التي تظهر أهميتها مقارنة مع الصوامت، وخاصة أثرها في بناء الكلمة وتلوين هذا البناء.

وقـد حاولـت في هذه الدراسة دراسة الحركات في اللغة العربية من خـلال نظـرة حديثة، وإلقاء الضوء على بعض المفاهيم التي شابها الغموض في الحـركات، وبيان أثر هذا الغموض في الدرس الصرفي، إضافة إلى التفريق بين الحـركات وأشـباه الحركات، إذ قد يخلط بينهما مما يودي إلى خلط في تحليل الظواهر الصرفية.

ولم أعمد في دراستي هذه لقسرية المنهج بل أفدت من المناهج المختلفة، وذلك بما تستدعيه الحاجة وطبيعة الموضوع الذي أتناوله.

وقـد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول، جاء الفصل الأول بعـنوان: (تحديـد الحركات في اللغة العربية)، وفيه تحدثت عن ماهية الحركة، وعن مفهومها بحسب تطور الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، وما أخذته الحركات من تسميات مختلفة، ومدى اهتمام الدرس اللغوي بهذه الأصوات، ثم عرضت المواضع النطقية للحركات؛ وذلك بالإشارة إلى آراء العلماء، ومقارنتها ومدى تفاوتها في الدقة إضافة إلى أثر كميتها في مواضعها النطقية.

وتحدثـت في هذا الفصل عن عدد الحركات في اللغة العربية بنوعيها: القصـيرة والطويلـة، وأشرت إلى آراء العلماء، وناقشت بعض هذه الآراء ما أمكن وذلك بالحجة العلمية، وطرح الأدلة، والأمثلة التطبيقية.

وانتهى الفصل الأول بالحديث عن الكمية الزمنية في الحركات العربية القصـيرة والطويلـة، مراعـياً أثر الأصوات المجاورة من حيث الجهر والهمس، والاستمرار والوقف، والتضعيف.

أمـا الفصـل الثاني فقد كان عنوانه: (حركات اللغة العربية وقانوناً المماثلـة والمخالفة)، وفي هذا الفصل تحدثت عن ملامح المماثلة عند القدماء، ثم عرضـت لـلمماثلة بين الحركات والصوامت في التفخيم والترقيق، وفي الموقع والمخرج، وعرضت للمماثلة بين الحركات وأشباه الحركات، وما يتم فيها من قلب الحركة إلى شبه حركة.

وتحدثـت عـن مماثلـة أشباه الحركات للحركات، ومماثلة الحركات للحركات، وقد حاولت إسناد رأيي بالأدلة التطبيقية، إضافة لآراء العلماء التي وجدت فيها ضالتي.

وانـتهى هـذا الفصـل بالحديث عن حركات اللغة العربية وقانون المخالفة؛ فأشرت إلى المخالفة بسقوط الصامت، وحلول الحركة، وإلى المخالفة بين الحركات فيما بينها.

أمـا الفصل الثالث فقد أفردته للحديث عن قلب الحركات وحذفها، فقـد جاء عنوانه: (حركات اللغة العربية، وقانونا القلب والحذف)، وفي هذا الفصـل تناولت قلب الحركة إلى حركة، وقلب الحركة إلى شبه حركة، وقلب الحركة إلى حركة، وتناولت فيه حذف الحركة، وحذف شبه الحركة.

وأتقـدم بجزيل الشكر للدكتور إسماعيل عمايرة الذي أشرف على هذا البحث، وقد تابعه بأمانة العالم وإخلاصه، فجزاه الله خير جزاء.

ولا أزعـم أن هـذا البحث يتسم بالكمال إذ الكمال لله، والعصمة لرسـوله، وما عمل الإنسان في يومه عملاً إلا وقال في غده لو أني فعلت كذا وكذا، والله أسأل أن أنال أجر من اجتهد فأصاب.

فهرس المحتويـــــات

أ- ماهية الحركة:

تتشكل اللغة العربية- كأي لغة أخرى- من مجموعة من الأصوات اللغوية، تتألف فيما بينها مكونة عناصر اللغة ومقوماتها، ابتداء بالكلمة وتنامياً إلى الجملة، وقد رأى علماء اللغة العربية أن أصوات اللغة العربية تقسم إلى قسمين: الأصوات الصوامت، وهي ما تعارفوا عليه باسم الحروف، والصوائت، وهي ما تعارفوا عليه باسم الحركات، وقد أشار بعض علماء العربية ومنهم عبد الصبور شاهين إلى هذا التقسيم:

"والأصوات التي تتكون منها الكلمة تنقسم بالضرورة إلى نوعين:

١- نوع الصوامت.

٢- نوع الحركات"(١).

ومن العلماء من يقسم الأصوات في العربية إلى ثلاثة أقسام هي: الصوامت، والصوائت، وهناك قسم ثالث هو أشباه الصوائت أو أشباه الصوامت، وهذا القسم ينحصر في صوتي (الياء والواو) أشباه الحركات التي سماها القدماء حروف اللين مغايرة لمشابهاتها- في الرسم- من حروف المد، وقد سميت هذه الأصوات بأشباه الصوائت لأنها عرضة للانقلاب والتحول كما هي الحال في الصوائت، وقد سميت أشباه الصوامت لأنها تتحد مع الصوامت في وجود الاحتكاك عند إنتاجها(٢)، وفي تحملها للحركات كبقية الصوامت.

وسأحاول في هذه الصفحات تحديد ماهية الحركة. وللوصول إلى شيء من المراد لابد من التعرض للمراحل الأولى التي ظهر فيها هذا المصطلح بتسمياته

---

(١) عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٢٦، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٠م.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٣١.

المختلفة حسب مراحل تطوره، ومن هنا نجد ابتداء أن ظهور اللحن على ألسنة بعض الناطقين بالعربية كان الدافع الأول لظهور الحركات رسماً وبحثاً، فهي من الناحيـــة النطقـــية الصوتية موجودة كغيرها من أصوات اللغة، وفي ذلك يقول كمـــال بشر: "أما الحركات قبل أبي الأسود والخليل فكانت تستنتج استنتاجاً بمساعدة السياق والمقام"[1].

وقـــد رأى بعضهم أن استنتاج الحركة من خلال السياق يعد ثغرة في الخـــط العربي، يقول جان كانتينيو ".. فبقيت الكتابة العربية كأنها ضرب من الاخـــتزال يجب فهمه أولاً كي تتسنى قراءته وذلك عيب من أكبر عيوب الخط العربي"[2]. ولا ينحصر هذا الخلل في الخط العربي، بل تعاني اللغات الأخرى من مشكلة الخط ومطابقته للنطق.

لقـــد كان اختلاط الأمم غير العربية مع العرب عاملاً رئيساً في ظهور الـــلحن، فلم ينحصر الكلام المتبادل في الفصيح بل هناك من يتعلم العربية من خـــلال التعامل اليومي، وليس سهلاً أن تتوفر الدقة في إتقان ما يسمع ويردد؛ لذلك ظهر اللحن، ووصل إلى القرآن الكريم في تلاوة بعض الناس، من هنا ظهر الاهـــتمام بالحركات لوضع حد لهذه المعضلة الدخيلة، وقد أشار ابن النديم إلى هذه البداية بقولـــه: "أخذ النحو عن علي بن أبي طالب أبو الأسود، وكان لا يخـــرج شـــيئاً أخذه عن علي.. فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأتى بآخـــر، فقال أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه

---

(١) كمـــال بشر، علم اللغة العام (الأصوات)، ص١٤٧، ط٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

(٢) جان كانتينيو، دروس في علم أصوات العربية، ص١٤٧، ترجم صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.

ء على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف فهذا نقط أبي الأسود"[1].

ومن خلال توجيه أبي الأسود لكاتبه في تحديد الحركات نجده قد بدأ بوضع الشكل الأول للحركات من حيث موضع الرسم وإظهارها خطاً، وبوضع الملامح أو السمات الأولى التي تشكله أثناء النطق به

ومن هنا فإن أبا الأسود لم يتعرض للحركات من ناحية صوتية كي يحددها بل اعتمد في تحديدها على الملاحظة بالعين لكي لا يلتبس الأمر على كاتبه، ونلاحظ أيضاً أن أبا الأسود استخدم رسماً خاصاً لتمييز الحركات وهو النقط، وهذا الرسم متشابه في الحركات الثلاث، ولكنه ميز بينها في مواضع رسمها تبعاً لحركة الأعضاء النطقية، ووصفها النطقية، وهذا الصنيع من أبي الأسود ينم عن دقة ملاحظته، وعمق تفكيره اللغوي

بعد صنيع أبي الأسود سالف الذكر ستنتقل الحركات في العربية إلى مرحلة جديدة وذلك على يد الخليل بن أحمد، إذ قام الخليل بوضع معجم العين على أساس صوتي؛ فاعتمد في ترتيبه على مخرج الأصوات اللغوية على النحو التالي "ع ح هـ خ غ - ق ك - ج ش ض - ص س ز - ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي"[2].

أي أنه وضع كل مجموعة متقاربة من الأصوات في حيز واحد، وما يهمنا في هذا المقام الإشارة إلى أن الخليل أراد إزالة الالتباس بين النقط الذي

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٤٠، تحقيق رضا تجدد بن علي، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٧١.

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ١/٥٨، تحقيق المهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠.

وضعه أبو الأسود -وهو الذي يمثل الحركات- النقط الذي وضع لتمييز الحروف المتشابهة رسماً، فوضع رسماً جديداً للحركات يغاير الرسم الذي وضعه أبو الأسود. وقد أشار أبو عمرو الداني إلى عمل الخليل وهو مأخوذ من صور الحروف، "فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف؛ لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف"[1]. وعمل الخليل هذا يدل على يقينه بأن أصوات المد القصيرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأصوات المد الطويلة من حيث المسلك الصوتي.

وقد وردت إشارة عن الخليل يستشف منها تسميته هذه الأصوات بالعلل أو حروف العلة، إذ يقول: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق، مهتوتة مضغوطة، فإذا رفه عنها لانت وصارت الياء والألف والواو عن غير طريقة الحروف الصحاح"[2]. وهذه الإشارة تدل على حديث الخليل عن الحركات الطويلة، أو ما عرف لديهم بحروف المد.

ومما يلاحظ أن الحركات لم تنل اهتماماً واضحاً كالصوامت، ولم يظهر مصطلح الحركات بوصفه مصطلحاً صوتياً يدرس دراسة مفردة مفصلة وخاصة في المراحل الأولى، بل جاء عرضه ضمن الحديث عن الجوانب النحوية. وقد أشارت بعض الدراسات التي رصدت المصطلح الصوتي في التراث العربي إلى ذلك؛ تقول آمنة بن مالك: "وما نشير إليه في هذا الصدد أيضاً أن النحاة العرب لم يعرفوا مصطلح الحركات، ولم يدرسوها على حدة، إلا أنهم لم يتجاهلوا خصائصها"[3].

---

(١) أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص٧، تحقيق عزة حسن، دمشق، ١٩٦٠.

(٢) العين، ١/٥٢.

(٣) آمنة بن مالك، مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي، ٣٣٢، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، ١٩٨٧م.

وما نريده من عدم معرفتهم لمصطلح الحركات أي عدم إعطائه القيمة والدراسة التي تناسب أهميته في اللغة كما كشف عنه ابن جني لاحقاً

لقد بقيت الحركات ترد لدى العلماء بأسماء لا تتضمن مصطلح حركة أو حـــركات بالمفهوم الصوتي الخالص؛ فقد وصفها الخليل بأنها هوائية لا حيز لها، أما سيبويه فأشار إلى أنها حروف خفية اتسع مخرجها، وسمى بعضها الهاوي وفي ذلك يقول: "ومنها الهاوي وهو حرف اتسع هواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قـــبل الحـــنك، وهـــي الألف. وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف ثم الياء ثم الواو"(١)

ومـــن هنا فإن وصف هذه الأصوات لدى علماء هذه الفترة من حيث المخـــرج جـــاء مـــتقارباً، فهي تأتي هوائية، وتأتي خفية ومتسعة وجوفية أما تسميتها، فترد باسم الألف، والياء، والواو كغيرها من الحروف الهجائية.

وأود الإشارة هنا إلى أن مصطلح الحركات يختفي عند الخليل وسيبويه في معالجتهما للأبواب الصوتية وعرضها، أما في الأبواب النحوية والصرفية فإن هذا المصطلح يرد أثناء العرض والتفصيل في تلك الأبواب، ومن أمثلة ذلك قول ســـيبويه في بـــاب الإدغـــام "وكـــلما توالـــت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن"(٢)

ومـــن خـــلال التتبع لنظرة الخليل وسيبويه لهذه الأصوات وتسميتها أرجـــح أن المعالجة الصوتية، والتسمية كانت تخص بهذه الأصوات الثلاثة حال

---

(١) سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، الكتاب، ٤/ ٤٣٥–٤٣٦، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، عالم الكتب، ١٩٨٣م.

(٢) المرجع نفسه، ٤/ ٤٣٧

كونها أصوات مد طويلة؛ لأن التركيز في البحث والمعالجة النحوية في تلك الفترة كان ينصب على الأصوات التي تشكل البنية أو الهيكل الرئيس للكلمة.

لقد أشار الخليل إلى أصوات المد القصيرة ودورها، ولكن إشارته إليها لم ترتبط باسم الحركات بل الفتحة والكسرة والضمة، فقد ورد في الكتاب: "وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به"[1]

والمقصود بقول الخليل: إنها زوائد أي أنها ليست من أحرف الكلمة الأساسية، ولا يفهم من كلامه الانتقاص من دورها بوصفها أصواتاً لغوية لها دورها كبقية الأصوات

وعند تتبع معالجة هذه الأصوات عند الفراء نجده يسميها الضم والكسر والفتح، ولم يورد مصطلح حركات بوصفه تسمية لهذه الأصوات، وقد جاءت تسميته بقوله: "فإنما يستثقل الضم والكسر لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين.. والفتحة تخرج من طرف الفم بلا كلفة"[2]، ويبقى مصطلح الحركة بالمفهوم الصوتي غير محدد البداية إلى أن نجد ابن جني يشير إلى هذا المصطلح في كتابيه: الخصائص، وسر صناعة الإعراب، وإشارته لم تحدد واضع هذا المصطلح ولم ينسب التسمية لنفسه، بل جعلها مجهولة إذ يقول: "وإنما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به"[3].

---

(١) المرجع نفسه، ٤: ٢٤١

(٢) الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد)، معاني القرآن، ٢: ١٣؛ عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.

(٣) ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني) سر صناعة الإعراب، ١: ٢٦-٢٧، تحقيق حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م

وبما أن مصطلح (حركات) لم يرد عند من سبق ابن جني بالمفهوم الصوتي الدقيق والمفصل حين معالجة الأصوات في الأبواب الصوتية، فالأرجح أن يكون ابن جني أول من وضع مصطلح (حركات) عند معالجة هذه الأصوات في الأبواب الصوتية، ولكنه لم ينسبه لنفسه التزاماً بالأمانة العلمية، وإظهاراً لجهود السابقين، فمصطلح (الحركات) ورد قبل ابن جني في معالجة الأبواب النحوية والصرفية، وعندما أطلقه ابن جني على هذه الأصوات عند معالجتها في الأبواب الصوتية نظر إليه على أنه مصطلح مشترك في التسمية بين الأبواب النحوية، والصرفية، والصوتية مع وجود الفارق في معالجته في كل باب عن الآخر، فالتسمية عامة قديمة، والتحديد الصوتي خاص بابن جني.

ومما يرجح أن ابن جني أول من أعطى مصطلح (الحركات) عناية خاصة عند دراسة هذه الأصوات دراسة صوتية مدى اهتمامه بهذا المصطلح ومعالجته له معالجة واسعة في كتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب[1].

وعند معالجة ابن سينا للأصوات اللغوية من جانب صوتي وتحديداً من حيث المخرج، فقد سمى هذه الأصوات بالمصوتات: " وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة.. وأما الواو المصوتة وأختها الضمة وأما الياء المصوتة وأختها الكسرة "[2] وفي مكان آخر ترد إشارته إلى الحركات من جانب صوتي وذلك في إطار معالجته لكيفية حدوث بعض الأصوات، وكيفية إنتاجها، فقد جاء عنوان الفصل السادس بقوله: "في أن هذه الحروف قد تسمع من حركات

---

(١) انظر المرجع نفسه ١٥-٣٢

(٢) ابن سينا (أبو علي الحسين)، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٨٤، تحقيق محمد الطيان، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م

غير نطقية"[1] وهذه إشارة توضح تعدد تسمية هذه الأصوات عند ابن سينا ومن هذه التسميات مصطلح حركات، وقد تكون تسميتها صوتياً بهذا المصطلح اعتماداً على تسمية ابن جني لها

ومن خلال هذا التدرج في الدرس اللغوي نجد أن الحركات في العربية قد تدرجت في تحديدها من الرسم الأولي وهو النقط إلى الرسم الثاني وهو الحروف الصغيرة، وقد تركزت معالجتها في هذه الفترة- من حيث المخرج على كونها أصوات مد تدخل في البنية الرئيسة للكلمة، إلى أن أحدث شيئاً من التفصيل الصوتي بنوعيها: قصيرة، وحروف مد في مؤلفات ابن جني.

ومن خلال استعراض هذه المرحلة نجد أن مفهوم الحركة فيها أنها صوت هوائي ليس له مخرج محدد كغيره من الأصوات، وأن هذا الصوت يأتي على نوعين حسب كميته: صوت قصير وهو ما عرف بالحركة، وصوت طويل وهو ما عرف بحرف المد، ويدخل هذا النوع في تكوين جسد الكلمة الرئيس طبقاً للرسم العربي

وفي العصر الحديث عرض العلماء للحركات في اللغات عامة، وذلك اعتماداً على تحديد دانيال جونز لمخارجها، وقد وردت تسمياتها لدى العلماء بالحركات والصوائت، وأصوات المد إلى غير ذلك، وممن حدها من العلماء العرب محمود السعران بقوله: "يحدد الصائت في الكلام الطبيعي بأنه الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق، والفم، وخلال الأنف معهما أحياناً، دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً، أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكاً

---

(١) رسالة أسباب حدوث الحروف، المرجع نفسه، ٩٣

مســـموعاً"[1]. ومضمون هذا الكلام نجده في الدرس اللغوي لدى قدماء العربية. ونجده عند اليونان من خلال قول أرسطو "هو الذي ينطق دون قرع اللسان أو الشفة"[2].

ومن هنا مهد بالغ المحدثون في إشاراتهم إلى دانيال جونز، ونسبة تحديد الحركات له، فهو لم يحدد مفهوم الحركة بل له الجهد الواضح في تحديده لصفة الحـــركة عـــند إنتاجها، ونبّه هنا إلى قول السعران السابق في تحديد الصوائت بقوله: "بأنه الصوت المجهور" فقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أن الحركات أصـــوات مجهورة، ورأيهم هذا لا تشوبه شائبة والمختبر الصوتي يؤكد ذلك، إلا أن عـــبد الصـــبور شـــاهين يرى أن الحركات تشترك مع الصوامت في الهمس والجهـــر "والجهـــر والهمـــس صفتان تشترك فيهما الصوامت والحركات على السواء، على الرغم من دقة ملاحظة الهمس في الحركات"[3] و لم يذكر شاهين أدلة تدعم رأيه هذا، وواضح كل الوضوح خروج رأيه عن جادة الصواب؛ فإذا كانت الحركات أوضح الأصوات سمعياً فكيف نصفها بأنها أصوات مهموسة؟

أمـــا إبراهيم أنيس فقد سماها حروف اللين، وهي تسمية ليست دقيقة؛ فحروف اللين هي الواو والياء أشباه الحركات، أما الحركات فهي حروف المد إذ أريـــد بهـــا الحركات الطويلة، ويكاد أنيس يعتمد- في تقديمه للحركات اعـــتماداً كلـــياً عـــلى دانيال جونز، و لم يجد إبراهيم أنيس بداية تسمية هذه الأصوات بالحركات، وفي ذلك يقول

---

(١) محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص١٤٨، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت.

(٢) أرسطو، فن الشعر، ص١٨٠، ترجمة إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.

(٣) المنهج الصوتي للبنية العربية، ٢٧.

"وظللت الحال هكذا حتى وضعت أصوات اللين القصيرة التي اصطلح القدماء على تسميتها بالحركات في العصور الإسلامية"[1]. وهذا تحديد عائم، إذ تدرج الحركات، وتطورت في العصور الإسلامية من حيث الرسم، والتسمية، والدراسة

وما اختلاف تسمية هذه الأصوات بين العلماء، والتدرج في رسمها، وكيفية معالجتها، وطبيعتها من حيث التحول والانقلاب إلا دلالة على خصوصية هذه الأصوات، وصعوبة مسكها نسبة إلى غيرها

ب- المواضع النطقية للحركات:

المقصود بالمواضع النطقية للحركات، مخرج الحركات أو موضع إنتاجها، وتحديد إنتاجها، وتحديد المواضع النطقية يستدعي بالضرورة الحديث عن الأعضاء النطقية التي تعمل في إنتاج الحركات، ويمثل الوتران الصوتيان مصدر الرئيس في إنتاج الحركات، فالحركات أصوات مجهورة، وقد أشار السعران إلى وضع الوترين الصوتيين عند نطق الأصوات المجهورة بقوله "ينضام الوتران الصوتيان بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما أن يفتحهما ويغلقهما بانتظام وبسرعة فائقة، وهذا يسمى بذبذب الوترين الصوتيين"[2]

وليس المقصود بتضام الأوتار الصوتية التصاقهما، بل المقصود بذلك تقارب الوترين الصوتيين مع ضيق المسافة بينهما، فيعمل الهواء المندفع على ذبذبتهما حسب دفعات الهواء المنطلقة، وكيفية التحكم فيها

---

(١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٣٧، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م

(٢) علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ١٣٧

وقد عرف سيبويه المجهور بقوله: "فالمجهور: حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"[1].

وتعريف سيبويه هذا يشير إلى عمل الوترين الصوتيين، وهما مصدر الصوت، وإلى الموضع النطقي أو مكان اعتراض الصوت، ومصدر الصوت وموضع نطقه من المفاهيم التي يخلط بينها كثير من الباحثين، وقد تنبه خلدون الهيجاوي إلى هذه الناحية بإشارته إلى الوترين الصوتيين بوصفهما مصدراً للصوت، وإلى التعديل الذي تتعرض له القناة الصوتية بفعل أعضاء النطق[2].

أما القدماء فقد رأى بعضهم أن الحركات لا حيز لها، أي لا موضع نطق محدد لها ومنهم الخليل، وسيبويه فقد أطلقا عليها تسمية الحروف الهوائية أو الهاوية، أي أنها تهوي في نهاية نطقها إلى حيز الوترين الصوتيين اللذين يمثلان مصدر الصوت.

وتأتي أول إشارة إلى عمل الأعضاء النطقية في إنتاج الحركات عند سيبويه بقوله: "ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف"[3].

---

(١) الكتاب، ٤٣٤:٤.

(٢) انظر خلدون الهيجاوي، ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات اللغوية، ص٤٠، ٤٧، ٤٨، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٢م.

(٣) الكتاب ٤٣٥:٤، ٤٣٦.

وهـــذه الإشـــارة تخص الحركات الطويلة أي ما عرف لدى القدماء بحـــروف المد، ويلاحظ أن هذه الإشارة تهمل انقباض اللسان وتراجعه في إنتاج الضمة، وتهمل انفراج الشفتين وانزلاق الحنك الأسفل للأمام مصحوبةً

وتـــأتي بعد الإشارة إلى عمل الأعضاء النطقية في إنتاج الحركات عند الفـــراء بقوله: "وإنما يستثقل الضم والكسر لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشـــفتين، تنضـــم الرفعة بهما فيثقل الضمة، ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة فترى ذلك ثقيلاً، والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة"[1]

فالفـــراء ينبه إلى عمل اللسان والشفتين والحنك الأسفل- الذي سماه الشـــدق- في إنتاج الضمة والكسرة، أما الفتحة فيرى أن أعضاء النطق في الفم لا عمل لها في إنتاجها، ومع أن رأي الفراء يعتمد على رأي سيبويه إلا أن الفراء كـــان أدق في إشـــارته للأعضـــاء النطقية العاملة في إنتاج الحركات، وكلمة (مؤونة) في نص الفراء تنم عن دقة معرفته لمسلك الحركات

ويشير الأزهري في حديثه عن الهمزة إلى المواضع النطقية للحركات إذ يقـــول: "والـــياء، والواو، والألف اللينة منوطات بها، ومدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين، وأصلهن من عند الهمزة"[2].

ونـــص الأزهـــري هـــذا يشـــير إلى الأعضاء النطقية العاملة في إنتاج الحركات، وإلى الموضع الذي يتم فيه التعديل للهواء المنطلق مع القناة الصوتية، فمدرجـــة الألف شاخصة نحو الغار دون تعديل من اللسان أو الشفتين، ولذلك

---

(١) معاني القرآن ٢ ١٣

(٢) الأزهـــري أبـــو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة ١ ٥١، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية، القاهرة ١٩٦٤

توصف الفتحة بأنها أوسع الحركات، ومدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس أي أن التعديل للهواء المنطلق مع القناة الصوتية يتمثل في وضعية الجزء قبل الأمامي من اللسان، حيث ترتفع هذه الجزئية، وينخفض مقدمه للأسفل مع انزلاق حنك الأسفل، وبهذا التعديل ينتج صوت الكسرة فتوصف بأنها أمامية ضيقة، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين، لأن الهواء المنطلق مع القناة الصوتية يتعرض للتعديل في منطقة الشفتين بتدويرهما بوضعية رخوة تميل في تدويرها إلى الأقمة بالنسبة لوضع الوجه، وبهذا التعديل ينتج صوت الضمة

وقد عرض ابن جني للمواضع النطقية للحركات من خلال الأعضاء النطقية العاملة في إنتاجها، "والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو، وأوسعها وألينها الألف، إلا أن الصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال، أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلاً وعلواً قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعداً هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال. وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت. فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر"[1] ورأي ابن جني السابق يدل على اهتمامه بالحركات، وتحديد مواضعها النطقية من خلال التفصيل في عرضه للأعضاء النطقية العاملة في إنتاجها، ويختلف ابن جني عمن سبقوه في إشاراته للمواضع النطقية للحركات بدقة رأيه، وشموليته إذا ما قيس بالآراء

---

(١) سر صناعة الإعراب، ١ ٨

السابقة، غير أن ابن جني يغفل دور اللسان عند إنتاج الضمة على اهتمامه بدوره في إنتاج الكسرة

ومن قول ابن جني السابق "فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين" يستنتج أنه يحدد الحلق موضعاً لإنتاج الفتحة، والفم موضعاً لإنتاج الكسرة، والشفتين موضعاً لإنتاج الضمة، وهذا الفهم من ابن جني ينم عن دقة تأمله في إنتاج الأصوات، غير أن الأولى أن نجعل عملية إنتاج هذه الأصوات مشتركة بين الأعضاء الثلاثة التي ذكرها: الحلق، والفم، والشفتين، والمقصود بالفم هو اللسان وما يتعرض له من ضغط الأسنان، وانزلاق الحنك السفلي ليترك فجوة للهواء بين ظهر اللسان والحنك الأعلى

والسبب في جعل عملية إنتاج هذه الأصوات مشتركة بين الأعضاء الثلاثة هو الملازمة في عملها، فالكسرة تتطلب أن يأخذ الحلق والشفتان وضعاً خاصاً لإنتاجها إضافة لوضع اللسان، فالحلق ينقبض، ويضيق مجرى الهواء فيه عن وضعه الطبيعي، والشفتان تنفرج بما يناسب وضع الكسرة، أما الضمة فيتطلب إنتاجها انقباض اللسان للخلف وخاصة الجزء الخلفي منه، وتتوتر بذلك المنطقة العضوية من الحلق، وبهذا التوتر المشترك يضيق مجرى الهواء بعض الشيء في منطقة المقطع الخلفي من اللسان، إضافة إلى أن النصف الأمامي من اللسان يقترب من التحويف في شكله، ويرجح ما أذهب إليه ما قاله بسام بركة في معرض حديثه عن وضعية الأعضاء النطقية عند إنتاج الحركات بقوله "الكسرة صائت أمامي، أي أن الجزء الأمامي من اللسان يكون لدى النطق به أقرب ما يمكن من الجزء الأمامي من الحنك الصلب، وتكون حجرة الرنين (الفمية) في أصغر حجم لها كما يكون الفم مفتوحاً بالكاد، وتكون الشفتان مشدودتين أقصى ما يمكن لها من الشد... الضمة صائت خلفي، أي أن الجزء الخلفي من

للسان يكون لدى النطق به أقرب ما يمكن من الحنك اللين واللهاة، ويكون بذلك حجرة الرنين (الفمية) صغيرة جداً في وضع اللسان هذا. ويكون فتحة الفم ضيقة. إلا أن فجوة الفم تكون أكبر في نطقه منها في نطق الكسرة؛ لأن الفك الأسفل يكون أشد انخفاضاً بحيث يسمح للسان أن يرتد إلى الخلف. أما الشفتان فإنهما تكونان مفرجتين بالكاد ومتقدمتين نحو الأمام بشكل مدور"[1] أما الفتحة فإن رأي بسام بركة يشير إلى عدم فاعلية الأعضاء النطقية في إنتاجها، وهو رأي مشترك بين بعض العلماء، وهذا المهم لا يسلم به، ويأتي عرضه والتعليق عليه عند الحديث عن أقسام الحركات الطويلة.

ثم تأتي مرحلة ابن سينا حيث يشير إلى المواضع النطقية للحركات في رسالته أسباب حدوث الحروف بقوله: "وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة، فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم، وأما الواو المصوتة وأختها الضمة، فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق. أما الياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل"[2]. ويلاحظ من كلام ابن سينا أن المخرج في ذهنه يكمن في اتجاه الهواء من خلال وضعية اللسان، فالهواء في الضمة يتعرض للتضييق من خلال انقباض عضلات اللسان، وما ينتج عنه من تضييق لمجرى الهواء، والاتجاه به إلى الأعلى للوصول به إلى الشفتين لتظهر الصوت بمرحلته الأخيرة

---

(1) بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، ١٣١-١٣٢، الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٨م

(2) رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٨٤

أمـــا الكســـرة فيضيق مجرى الهواء لإنتاجها مع خفض الحنك السفلي وخفض مقدمة اللسان ليندرج الهواء إلى الأسفل.

ومـمــا يلاحـــظ على آراء القدماء في الحركات شمولية النظرة للأعضاء العاملة في إنتاج الحركات، ومع كل هذا نجد بعض الباحثين المحدثين يغفل هذه الناحية، ويرى أن الأوتار الصوتية هي العامل الوحيد في إنتاج الحركات، يقول فـوزي الشـــايب: "أن أشباه الحركات يحتاج نطقها إلى جهد عضلي أكثر من الحـــركات، ذلـــك أن الحـــركات ما هي إلا نفس طليق حر لا يعمل فيها من أعضاء النطق سوى الأوتار الصوتية"[1].

وحقيقة الأمر أن الأعضاء العاملة في إنتاج أشباه الحركات الواو/ w، والياء/ y هي نفسها الأعضاء العاملة في إنتاج الحركات الضمة/ u، والكسرة/ i إلا أن ارتفـــاع اللسان في نطقه لياء شبه الحركة يؤدي إلى احتكاك ومن هنا تبدأ الملامـــح المميزة لشبه الحركة عن الحركة، وفي الواو شبه الحركة تنضم الشـفـتـان بدرجـــة أكثر من انضمامها في نطق الواو الحركة، ويتراجع اللسان للخلف ويـــرتفع مؤخره لدرجة وقوع الاحتكاك، فالأعضاء النطقية تعمل في إنتاج الحـــركات عملاً مهماً، فالأوتار الصوتية تمثل مرحلة العمل الأولى أو المصـــدر، واللسان يتخذ شكلاً يناسب الحركة المراد نطقها من حيث الارتفاع أو الانقـــباض، ومن خلاله يتم تحديد مجرى تيار الهواء، وكذلك الشفاه والحنك السفلي يعمل كل منها حسب نوع الحركة المراد إنتاجها، ولو أطلقنا الهواء مع تذبـــذب الأوتار الصوتية دون تدخل الأعضاء النطقية لكان الصوت الناتج غير محدد

---

(١) فـوزي الشـــايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص٤٢٤-٤٢٥، رسالة دكتوراه، عين شمس، مصر، ١٩٨٣م

وقد نبه سمير استيتية إلى أهمية عمل اللسان في إنتاج الحركات؛ فقد نظر إلى عمل اللسان من جهتين، الأولى: أنه الأساس في إنتاج الحركات، والثانية: أنه المميز بين الحركات بعضها عن بعض.

ومما أورد في هذا الموضوع: "ويمكن إضافة أساس نطقي آخر للتفريق بين الحركات والصوامت، وهو حركة اللسان، ونحن لا نقصد بذلك أن اللسان يتحرك عند إنتاج الحركات، إنما هو تحرك محض يتخذ فيه اللسان وضعاً أفقياً أو عمودياً ويكون هذا الوضع أساساً في إنتاج الحركات، وتمييز بعضها من بعض"[1].

وتعمل اللهاة في إنتاج الحركات عملاً مهماً، حيث تقوم بإغلاق الفراغ الأنفي، ليستمر الهواء في مجراه الفموي. وهذا ما نبه إليه عبد الرحمن أيوب[2].

وهذه إشارة مهمة، فلو بقي الفراغ الأنفي مفتوحاً تماماً أثناء إنتاج الحركات لأدى ذلك إلى تشتت تيار الهواء، وهذا يؤدي إلى ضعف الوضوح السمعي للحركات التي تفوق الأصوات اللغوية عامة في وضوحها.

إن محاولة تحديد موضع نطقي للحركات كالصوامت أمر غير مقبول في الدراسة الصوتية، وذلك لعدم وجود اعتراض يؤدي إلى الاحتكاك أثناء نطقها، ومن هنا فإن المواضع النطقية للحركات متداخلة مشتركة، لأن كل عضو نطقي يساند الآخر لإنتاج هذه الأصوات، وكل مرحلة من مراحل مرور

---

(١) سمير استيتية، الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية، مجلة البلقاء، المجلد الثاني، العدد الأول، ١٩٩٢م

(٢) أنظر: عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، ص١٥٨، ط٢، مطبعة الكيلاني، مصر، ١٩٦٨م

تيار الهواء، تعصد الأخرى ينصار إلى إنتاج الحركة، فمكان تولد الهواء وضغطه اللازم لإنتاج الحركات يأتي من الرئة، والمصدر الرئيسي في إنتاجها يتمثل في الوترين الصوتيين حيث يقع على عاتقهما مهمة الرنين، واللسان، والحنك السمعي، والشفاه يقوم بتشكيل المجرى المناسب لمسار الهواء لإنتاج كل حركة، وتمييزها عن غيرها، وهذا توصف الحركات حسب ملامحها النطقية، وحسب الأعضاء النطقية العاملة في إنتاجها على النحو التالي*:

"١ الكسرة/ i/ حركة أمامية معلقة غير مدورة.

٢ الفتحة/ a/ حركة أمامية مفتوحة غير مدورة

٣- الضمة/ u/ حركة خلفية معلقة مدورة"[١].

وإذا كان الموضع النطقي للحركات لا يحد بمكان ما كالصوامت، فإن مدى ارتفاع اللسان أو انخفاضه نحو الخلف لا يحد بنقطة محددة، وهذا ما عدّه بعض العلماء مأخذاً على تحديد (جونز) مواضع الحركات المعيارية، ومن هؤلاء كمال بشر بقوله. "إن مقدم اللسان مع الكسرة العربية أقل ارتفاعاً منه مع المعيارية، رقم ١، فالكسرة العربية إذن حركة ضيقة، ولكن بدرجة أقل من المعيارية، إنّ أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان تنحو نحو الخلف قليلاً --

أما الضمة العربية فتفترق عن الحركة المعيارية الثامنة بفرقين: الأول، أن الجزء الخلفي من اللسان حين النطق بالضمة العربية يكون أقل ارتفاعاً منه مع المعيارية

---

* أمامية (من حيث موقع اللسان)، معلقة (من حيث درجة ارتفاع اللسان)، غير مدورة (من حيث وضع الشفتين)

(١) سمير استيتية، ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات (جهاز مبتكر لقياسه) أبحاث اليرموك، المجلد السادس، العدد الأول، ١٩٨٨م وانظر دراسة الصوت اللغوي،

رقم (٨). والثاني: أن أعلى نقطة في هذا الجزء الحلقي من اللسان ينحو نحو الأمام قليلاً"(١)

وهذه الفروق التي طرحها كمال بشر وغيره من العلماء لا تمثل مأخذاً على عمل دانيال جونز، لأن المراد بتحديد ارتفاع اللسان أو تراجعه إلى الخلف لا يعني التحديد ضمن نقطة أو درجة أو مقياس محدد، بل يكون الارتفاع أو التراجع لعضلة اللسان ضمن منطقة أو دائرة تراعي مجموعة من العوامل المؤثرة كاختلاف اللغات، والأصوات السابقة أو اللاحقة للحركة وما لها من أثر على كيفية إنتاجها، والتحديد الذي يريده كمال بشر لا يتوفر حتى في نطق حركات العربية على ألسنة أبناء العربية إذ يختلف ارتفاع اللسان وتراجعه عند نطقه للحركات من شخص لآخر حسب لهجته المحلية التي قد ينعكس أثرها النطقي على نطقه للفصحى، إضافة إلى اختلاف طبيعة العضلات النطقية من شخص لآخر، والعوامل النفسية المؤثرة على الناطق.

وقد يختلف موضع الحركة في نطق إنسان يتجهز لعمل التجارب عن موضع الحركة في نطق عفوي غير متجهز، فالتجهيز للنطق يؤدي إلى توتر الشخص مما يؤدي إلى توتر عضلات اللسان، والنطق بالحركة منفصلة قد يجعلها تأخذ موضعاً نطقياً يختلف عن نطقها في درج الكلام، ومن هنا فالمراد بتحديد موضع اللسان ودرجة ارتفاعه أو تراجعه في نطقه للحركات هو المحيط النطقي، أو الدائرة التي يقع في إطارها وضع اللسان مع مراعاة العوامل المؤثرة التي سلف ذكرها.

---

(١) علم اللغة العام (الأصوات)، ١٥١-١٥٢، وانظر عبد الرحمن أيوب، الكلام إنتاجه وتحليله، ص١٧٣-١٧٤، ط١، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٤، وانظر عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية، ص١٤٠-١٤١، ط٢، القاهرة ١٩٨٨

ولا ينحصر الاختلاف في المواضع النطقية للحركات حسب أنواعها المختلفة من نمط ليظهر بين الحركة القصيرة والحركة الطويلة من جنسها، فالفرق بين الحركات الطويلة، والحركات القصيرة لا ينحصر في الكمية الزمنية بل يظهر أيضاً في المواضع النطقية، وقد وهم بعض العلماء في هذه الناحية فذهب إلى أن الفرق بين القصيرة والطويلة ينحصر في الكمية، ومما يراه كمال بشر في هذا الجانب أن الفتحة القصيرة تتوافق مع الطويلة في الوضع النطقي باستثناء الكمية، فالطويلة تستغرق زمناً أطول، وكذلك الشفتان فإن درجة الاتساع بينهما في الطويلة أكبر منها في القصيرة[1] وبتدقيق التأمل في نطق الفتحة الطويلة نجد أن النصف الخلفي من اللسان يتوتر بعض الشيء، وينقبض للخلف بدرجة بسيطة، وهذا يأتي نتيجة مضاعفة الجهد في نطق صوت ضوعفت كميته

وقد أشار أحمد مختار عمر إلى اختلاف الحركات الطويلة عن القصيرة من حيث المواضع النطقية "العلل الطويلة أفردنا نحن الطويلة عن القصيرة واعتبرنا كلا منها فونيمات مستقلة لما يأتي:

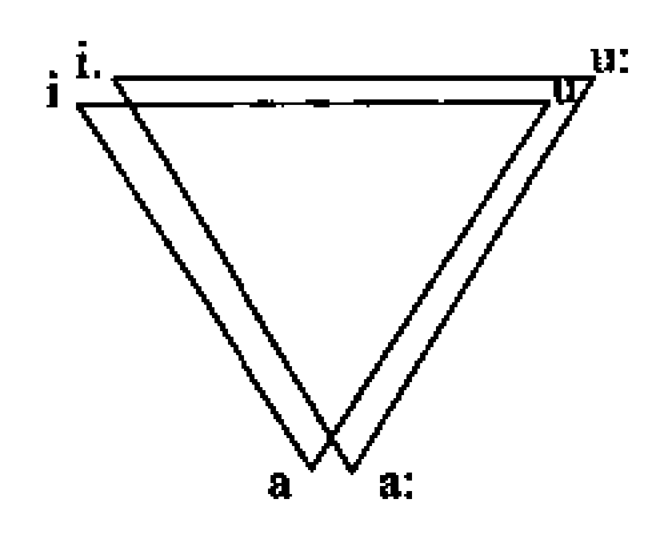
أ- أن التقابل بين الحركة الطويلة والحركة القصيرة قد يؤدي إلى تغيير المعنى أو الصيغة، ومعنى هذا أن كلا منهما فونيم مستقل.

ب- أن الدراسة التشريحية أثبتت أن الخلاف بين العلل الطويلة، والعلل القصيرة (معرفة) ليس خلافاً في الكمية فقط، وإنما في الكيفية كذلك.

---

(١) انظر كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص٣٤، ط٩، دار المعارف بمصر، ١٩٨٦م

فموقـــع اللسان مع إحدى العلتين المتقابلتين مختلف قليلاً، كما يتضح من الرسم الآتي"(1).



الشكل رقم (١)

ومن الشكل رقم (١) السابق يتضح تراجع عضلات اللسان وانقباضها للخلف في نطق الحركات الطويلة، وارتفاعه للأعلى أيضاً

وكما أشرت سابقاً فإن اختلاف المواضع النطقية في الحركات الطويلة عـــن القصـــيرة أمر طبيعي، إذ الجهد المبذول في الطويلة أكثر منه في القصيرة، وهـــذا الجهد يستدعي انقباض العضلات النطقية بشكل أكبر وخاصة عضلات اللسان مما يؤدي إلى تراجع اللسان للخلف بعض الشيء في الحركات الطويلة، أما سبب التراجع للخلف فيعود إلى أن توتر اللسان يتمركز ويتمحور في مقطعه

(١) أحمـــد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٢٨٢ ٢٨٣، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م

الخلفي، أي في مركز الثقل لالتصاق اللسان بالفم، ومركز التصاق اللسان يقع في الجزء الخلفي من الفم، ومن هنا فإن توتر اللسان المتزايد يجتذبه للخلف.

وقد أورد المهدي بوروبه إشارة إلى هذا الموضوع "ويلتقي جل القدماء والمحدثين في أن الفرق بين الحركات والمدود لا يتعدى الكمية، بمعنى أن اللسان يتخذ في كليهما وضعاً واحداً، لكن الذي يميز هذا الصوت عن ذاك هو الزمن الذي يستغرقه النطق بكل منهما"[1]

وهذا الرأي لم يجمع عليه العلماء كما أشار (بوروبه)، بل فيه خلاف، والآراء السابقة تثبت ذلك الخلاف، فالفرق بين الحركات القصيرة والطويلة يقع في الكمية، وفي النوعية من حيث موقع اللسان.

ونخلص مما سبق لما يلي:

أ- لا تحدد الحركات في العربية بموضع نطقي محدد بل تحدّ من خلال الأعضاء النطقية العاملة في إنتاجها وحسب المراحل التي تمر بها، وحسب أهمية الأعضاء النطقية في إعطاء الشكل المميز للحركات إحداها عن الأخرى.

ب- تختلف الحركات الطويلة في مواضعها النطقية عن القصيرة من حيث تراجع اللسان للخلف وارتفاعه للأعلى، إضافة إلى اختلافها عن القصيرة في الكمية.

---

(١) المهدي بوروبه، المصطلحات الصوتية عند النحاة واللغويين العرب، ص١٥٩، رسالة ماجستير، جامعة حلب، ١٩٨٩م.

عدد الحركات في اللغة العربية

تقسم الحركات في العربية من حيث كميتها وأثرها في المعنى إلى:
قصيرة وطويلة

أولاً: الحركات القصيرة:

الحركات القصيرة في العربية ثلاث وهي: الفتحة، والكسرة، والضمة وهذا ما يراه جل العلماء من القدماء والمحدثين. وتحديد عدد الحركات القصيرة بثلاث حركات يعتمد على الجانب النطقي أي كميتها الزمنية، ومن حيث وظيفتها في المعنى والصورة. أي من حيث كونها فاعلة، فكلمة كتب بفتح الكاف والتاء Kataba تختلف في دلالتها ووزنها عن كلمة كتب بضم الكاف وكسر التاء kutiba

يقول ابن جني في إشارته لعدد الحركات القصيرة ومقابلتها الطويلة: "فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة. فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو "[1]

ومع دقة الأدلة على عدد الحركات القصيرة وتحديدها بثلاث حركات إلا أن بعض الباحثين خالفوا هذا الرأي وذهبوا إلى أن عددها أربع حركات مع اختلافهم في الحركة الرابعة، يقول عبد الصبور شاهين: "وقد عرفت العربية الفصحى أربع حركات هي:

١ الفتحة المفخمة بعد الأصوات المفخمة إن سبقت بفتح أو ضم.

٢- الفتحة المرققة .

---

(١) سر صناعة الإعراب، ١: ١٧

٣- الكسرة الضيقة الأمامية
٤- الضمة الضيقة الخلفية
بيد أن التسميات التي وضعت لهذه الحركات كانت ثلاثاً، بإدماج حركتي الفتحة (مفخمة ومرققة) في تسمية واحدة، من حيث كان اختلافهما لا أثر له من الناحية الصرفية"[1].

وملخص ما يراه عبد الصبور شاهين أن عدد الحركات القصيرة في العربية أربع حركات يقابلها أربع طويلة، ويعتمد في رأيه على أن الفتحة المفخمة تعد حركة رابعة بمعنى أنها (فونيم) له أثر في تغيير المعنى، وقبل طرح الملاحظات على هذا الرأي لابد من تعريف المصطلحات التالية:

١- الفونيم هو أصغر وحدة صوتية تغييرها يغير المعنى مثل: سبح، صبح فالصوت المتغير هو السين تغير إلى الصاد s ← ṣ وبذلك اختلف المعنى:

ṣabaḥa ← sabaḥa

٢ الألوفون: هو أصغر وحدة صوتية تغييرها لا يغير المعنى، ومثال ذلك كلمة القدس بالقاف حيث ينطقها أبناء بعض المناطق الكلس بالكاف دون أن يتغير المعنى

Ḵuds ← quds

٣ المورفيم: هو أصغر وحدة صرفية مثل
شربت šaribta مخاطب مذكر مفرد
شربت šaribti مخاطب مؤنثة مفردة.
فقد تغير مورفيم الفاعل المخاطب إلى مورفيم الفاعلة المخاطبة.

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية، ٢٩، وانظر برتيل مالمبرج، علم الأصوات، ص٧٧ ،٧٩، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر ١٩٨٤م

بعد هذه التعريفات نطرح الملاحظات التالية على رأي عبد الصبور

شاهين:

١ لم يدعم عبد الصبور رأيه بأي دليل كاف.

٢- لقد وقع الباحث في خطأ، فإذا كان التفخيم علة نقل الفتحة من الألوفونية إلى الفونيمية، فلماذا لا ينسحب هذا الأثر على الضمة عندما تكون مسبوقة بالأصوات المفخمة؟ فهل العلة في التفخيم أم في نوع الصوت المنطوق أم في نوع الصوت وتفخيمه؟

٣ إذا كان أثر الصوامت المجاورة للفتحة ينقلها لدرجة الفونيمية في بعض حالاتها كالتفخيم، أو يجعل الفونيمية متعددة فيها، فلماذا لا ينسحب هذا الأثر على الفتحة عند مجاورتها للصوامت الأخرى كالأصوات الأنفية؟

٤ لقد طرح عبد الصبور رأيه في معرض حديثه عن الحركات القصيرة، وعند التطبيق نقلنا قسراً إلى الحركات الطويلة، ومع ذلك كان دليله غير كاف وفيه يقول: "ويصعب من الناحية النطقية أن نحل الفتحة المرققة محل الفتحة المفخمة والعكس، ففي الفعلين (طاب وتاب) تعتبر الفتحة بطابعها شرطاً في دلالة الكلمة على معناها، أي أن الاختلاف بين الكلمتين في حرفين لا في حرف واحد .."[1].

ونلاحظ أنه حاول التطبيق على الفتحة الطويلة، ومع ذلك فإن تفخيم الألف في طاب ṭa:ba ليس أصلاً فيها بل مكتسب من تفخيم صوت الطاء، فلا يوجد ألف مفخمة بذاتها وهذا التفخيم المكتسب هو نوع من أنواع المماثلة؛ حيث ماثلت الفتحة الطويلة صوت الطاء في ملمح

---

(١) علم الأصوات، ٧٨.

التفخيم، والتاء صوت غير مفخم في كلمة تاب ta'ba وبذلك لم تأت الفتحة الطويلة فيها مفخمة، ووضع طبيعي أن لا ننطق بعد الطاء وهو صـــوت مفخم فتحة طويلة مرققة كما يرى عبد الصبور، ومن هنا فـــإن الفـــرق بين الكلمتين طاب، وتاب يقع في صوت واحد لا في صوتين من حيث الفونيمية ذلك عكس ما يراه عبد الصبور؛ أن الفرق في حـــرفي الطـــاء والفـــتحة (الألف)، ولو كان الأمر كما يرى عبد الصبور لوجب أن تعد كل ألف مفخمة فونيماً حسب الصوت المفخم السابق لها، لأن التفخيم يختلف في الأصوات المفخمة من صوت لآخر فهـــو في الـــراء، والخـــاء والغين أقل منه في الطاء، والظاء، والضاد، والصـــاد، وعـــندها يعد صوت الألف فونيماً مختلفاً عن الآخر حسب الصـــوت المفخـــم السابق له وعندئذ يزيد عدد الحركات العربية على ست عشرة حركة، وهذا اضطراب واضح، وقول يجانب الصواب.

٥ يـــرى عبد الصبور في قوله السابق "أن حركتي الفتح (مرققة ومفخمة) أدمجنا في تسمية واحدة من حيث كان اختلافهما لا أثر له من الناحية الصرفية" والمقصود بالناحية الصرفية أي أنها في التفخيم لا تمثل مورفيماً خاصاً، وهذا يعني أنه يجد فيها الناحية الفونيمية أي تغيير المعنى المباشر للكـــلمة، والحقـــيقة أن أثرها في التفخيم ينعدم من الناحية المورفيمية، والفونيمـــية (أي الصـــرفية، والمعجمية) وهذا وهم مرده إعمال قضية المماثلـــة بـــين الفـــتحة الطويلة (الألف) وصوت الطاء ومن هنا فإن الحركات القصيرة في العربية ثلاث، وكذلك الطويلة.

وقد أشار غالب المطلبي إلى الفتحة المفخمة وعدّها صورة من صور الألف "إن ألف التفخيم ليست إلا صورة من صور نطق الألف، وهي بهذا لا تحمل أية قيمة فونيمية خاصة بها خارجة عن فونيم الألف العربية المعروفة"[1]

وإذا كان عند الصور يعد الفتحة المفخمة حركة رابعة فإن غيره يرى أن السكون حركة صوتية تضارع الحركات الأخرى، فقد أشار محيي الدين رمضان في كتابه (في صوتيات العربية) إلى حركية السكون بقوله: "وواضح من ذلك أن الساكن إذا أدرج ليس له حال الموقوف عليه أنك قد تجمع في الوقف بين الساكنين نحو" بكْر، وعمْرو، فلو كانت حال سكون كاف بكر كحال سكون رائه، لما جاز أن تجمع بينهما.. وهذا يعني أن السكون ليس تركاً لنطق الصوت والتمطق به وإنما هو درجة من النطق تشبه حال النطق بالصوت المحرك بالفتح.. وهو حركة مثل الفتح، وقريب منه"[2] وهذا جهل مطبق.

إن التسكين عند توالي المتحركات يعني إلغاء حركة صوتية ليبقى الصامت الذي يحملها ساكناً غير محرك، فالسكون هو عدم الحركة، ولو كان السكون يمثل حركة صوتية كما يرى (رمضان) لما لجأ الناطق بالعربية لتسكين بعض الصوامت المتحركة المتوالية بل لجأ لجلب حركة الكسر، ولكن الأمر ليس في تغيير الحركة أو الهروب من حركة إلى حركة صوتية أخرى، بل المراد عدم التحريك وهو ما يسمى بالسكون. ولا غرابة في رأيه؛ فهو رأي متوقع من باحث لا معرفة له بالأصوات

---

(١) غالب المطلبي، في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية)، ص١٦٨، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٤م

(٢) محيي الدين رمضان، في صوتيات العربية، ص٢٠٢-٢٠٣، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، د ت

ومما يؤخذ على رأي (رمضان) قوله: إن سكون كاف بكر ليس كسكون رائه، ولم يظهر الفرق بينهما. وعلى فرض أنه نظر إلى بعض التوتر في أعضاء النطق أي الجهد الزائد في نطق الكاف عنه في الراء (ولا أظنّ ذلك) فهذا لا يمثل فرقاً، لأن طبيعة الصامت الساكن الواقع في درج الكلام تتطلب توتر اللسان، وبذل جهد أكبر لإنتاجه والانتقال إلى الصامت اللاحق دون حركة فاصلة.

يمر الصوت في إنتاجه بثلاث مراحل هي: مرحلة التجهيز، ومرحلة الحبس، أو الاعتراض الكلي أو الجزئي، ثم المرحلة الثالثة وهي إرسال الصوت وإطلاقه، والصامت الساكن يحتاج عند إنتاجه أي في المرحلة الثالثة إلى جهد أكبر من الصامت المحرك، وفي حالة الإرسال أي الحالة الثالثة تعلك الأعضاء النطقية استعصعة لإنتاج الصوت، وفي هذه الحالة يظهر صويت بسيط يخلط بعض الناس بينه وبين الحركة، ومن هنا قد يتوقع ناطق ما أن السكون بعض الحركة، وهذا الصويت البسيط يظهر عند نطق الصوامت الساكنة، والدليل على أنه لا يصل إلى درجة الحركة أنه لم يظهر على الأجهزة الصوتية أثناء عمل بعض التجارب، ويظهر هذا الصويت عند نطق الصوامت الوقفية كما في كاف بكر، ويحدد هذا الصويت بأنه الخلخلة الناجمة عن فك الأعضاء النطقية المنضمة لإرسال الصوت، فالهواء المستخدم في إنتاج هذا الصويت من مستلزمات الصامت الإنفجاري، ولم يصدر هواء خاص بإنتاج حركة بعد الصامت الساكن، وإنما هي المرحلة الثالثة لإنتاج الأصوات الإنفجارية الساكنة.

وقد أشار إسماعيل عمايرة إلى هذا الصويت في حديثه عن ظاهرة القلقلة "فكأنما هي شروع في إيجاد حركة خفيفة تتبع أصوات القلقة الإنفجارية حال سكونها، إذ بدون هذا التحريك يكون الهواء قد انحبس انحباساً

كــاملاً، ويترتــب عــلى ذلك حفاء الصفة المميزة المشتركة الإنفجارية هذه الأصوات"[1].

ثانياً: الحركات الطويلة:

الحــركات الطويلة في العربية ثلاث، وتحديدها بثلاث حركات يعتمد على كميتها الزمنية ووظيفتها. وكما أشار القدماء إلى عدد الحركات القصيرة فقــد أشاروا إلى عدد الحركات الطويلة أيضاً، وقد سماها ابن جني الحروف، إذ يقول "فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث... فالفتحة بعض الألــف، والكســرة بعــض الــياء، والضمة بعض الواو"[2]. وسماها ابن سينا المصوتات في قوله:

"وأما المصوتات فأمرها عني كالمشكل، لكني أظن أن الألف الصغرى والكــبرى مخرجهما من إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم والواوان مخرجهما مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفتين . والياءان تكون المزاحمة فيهما بالاعتماد على ما يلي أسفل قبلاً"[3].

فالحركات الطويلة ثلاث هي:

١-	الفتحة الطويلة في مثل: قال	a:	qa:la
٢-	الكسرة الطويلة في مثل: طين	i:	ṭi:n
٣	الضمة الطويلة في مثل: يقول	u:	yaqu:l

---

(١) إسماعيل عمايرة، ظاهرة القلقة والأصوات الإنفجارية

(٢) سر صناعة الإعراب، ١ ١٧

(٣) رسالة أسباب حدوث الحروف، ١٢٦

وعند الحديث عن الحركات القصيرة لم اشر إلى أنها أصلية، لأن تحديد أيهما أصل الحركات القصيرة أم الطويلة أمر خلافي، فابن جني يقول "الحركات أبعاض حروف المد"، وفي موطن آخر عند الحديث عن الحركات الطويله يقول. "إنهن توابع للحركات، ومتنشئة عنها، وأن الحركات أوائل ها وأجزاء منها"[1].

وإذا كان كل نوع يؤدي وظيفة مختلفة عن الآخر، وكميته الزمنية مغايرة للنوع الآخر، فإن كل نوع يمثل أصلاً بذاته، ويصعب تحديد أيهما الأصل فهي قضية خلافية.

إن تشكل الحركات الطويلة من خلال إشباع الحركات القصيرة أي مضاعفة كميتها الزمنية قد يوقع في الوهم بحيث يظن أن الحركات القصيرة هي الأصل، وهذا ما يفسره العرض اللاحق لأقسام الحركات الطويلة، وكيفية تشكلها.

١ الحركات الطويلة الأصلية:

وهي: ألف الاثنين، وواو الجماعة، وياء المخاطبة

لقد عرض عبد الصبور شاهين ضمائر الرفع المتحركة، وضمائر الرفع الحركية بقوله: "ذلك أن ضميراً مثل (واو الجماعة) في جملة: (كتبوا) لا يصح أن يقال. إنه ضمير مبني على السكون، أو أنه من ضمائر الرفع الساكنة، بل هو ضمة طويلة أصلية في حركتها... وكذلك الحال في ألف الاثنين، وياء المخاطبة، فهذه كلها حركات دوال على الفاعل"[2]. فالحركات الطويلة التي تمثل واو الجماعة، وألف الاثنين، وياء المخاطبة هي حركات أصلية في طولها عبر

---

(١) سر صناعة الإعراب، ١: ٢٣.

(٢) المنهج الصوتي للبنية العربية، ٣٢

ناتجة عن إشباع حركة قصيرة، وقد سماها خلدون الهيجاوي" مورفوبيمات الجمع والتثنية والمخاطبة"[1]

وأمثلة ذلك:

يكتبون	yaktubu:na
يكتبان	yaktuba:ni
تكتبين	taktubi:na

والحقيقة أن رأي عبد الصبور يمثل لفتة دقيقة يصوب ما ذهب إليه القدماء من أن هذه الضمائر ساكنة، فهي ضمائر حركية، أو حركات طويلة أصلية في طولها.

٢- الحركات الطويلة الناتجة عن إشباع الحركة القصيرة التي من جنسها

وهي أنواع مختلفة على النحو التالي:

أ- الحركات المشبعة التي يمثل إشباعها أثراً في البنية والمعنى، أي يؤدي إلى تغيير المعنى ومثالها:

كتب	kataba
كاتب	ka:tib

فقد تغير المعنى من الفعل الماضي الدال على حدث وفاعله إلى اسم الفاعل الدال على الحدث ومن اتصف به[2]. وقد جاءت الزيادة في المعنى من إشباع فتحة الكاف فيكتب

---

(١) خلدون الهيجاوي، دراسة صوتية وصفية تحليلية للفعل المضارع المسند لألف الاثنين وواو الجماعة وياء المخاطبة ونون النسوة، بحث غير منشور.

(٢) انظر، في صوتيات العربية، ٢٦.

وهنا لابد من الإشارة إلى رأي حسام النعيمي الذي يرى أن الألف في كاتب ليست مشبعة عن الفتحة في كتب، وفيه يقول "إننا لا ننكر كون الألف فتحه مشبعه، أو كون الفتحة ألفاً مختلسة، ولكن الذي ننكره أن تكون لألف في (كاتب) مثلا هي من إشباع الفتحة في (كتب) كما ننطقها اليوم واللسان عندما يكون في وضع إزاحة تنتج الفتحة التي نسمعها في مثل (كتب) فإذا ارتفع أقصى اللسان قليلاً عند النطق بالفتحة دخلها من التفخيم أو من صوت الواو بمقدار ذلك الارتفاع، والألف التي في مثل (كاتب) يرتفع معها أقصى اللسان بدرجة قليلة جداً، ولذا كانت أفخم في السمع من الألف التي تنشأ من إشباع الصوت بفتحه الكاف في (كتب)"[1]

لقد أراد النعيمي أن الألف في كاتب ليست ناشئة من إشباع فتحة الكاف في كتب، ودليله على ذلك أن الألف في (كاتب) ka tib تتضمن شيئاً من التفخيم، أما فتحة الكاف في (كتب) kataba فلا وجود للتفخيم فيها، ورأيه هذا يعتمد على عاملين

أولهما

قياسه على اللهجة العراقية، وهذه اللهجة تميل إلى التفخيم، وإلى إشمام الألف بعض الضم، والدراسة الأشمل والأدق في نتائجها تنظر للغة دون مداخلة اللهجات والقياس عليها، ويثبت وجود التفخيم الواضح في الألف في اللهجة العراقية واعتماد الدراسة السابقة عليها ما يلي: الملاحظة السمعية للهجة العراقية، وكذلك الدراسة التي قام بها خالد إسماعيل حول ألف التفخيم في

(١) حسام النعيمي، التحول والثبات في أصوات العربية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٣٧، الجزء الأول، ١٩٨٦م

اللهجات العربية الحديثة في منطقة الجزيرة العراقية إذ يقول: "لقد قمت بدراسة ألف التفخيم في منطقة الجزيرة بناء على ما تجمع لدي من الأخبار عنها عن طريق الناطقين بها، بالاستماع إليهم وهم يتحدثون على السجية، وقد استمعت إلى الشيوخ والشباب، رجالاً ونساءً، متعلمين وأميين... تلفظ ألف جمع المؤنث السالم باطراد ألف تفخيم.. ونورد هنا الأوزان الشائعة لهذا الجمع مثل جريات من قربات، نخلات، نعجات..."[1].

أما العامل الثاني:

الذي دفع التميمي للقول: إن ألف (كاتب) ليست ناجمة عن إشباع فتحة الكاف في (كتب) فهو عدم التنبه إلى أن الفتحة القصيرة يلزمها التجهير وبعض التوتر في عضلات اللسان وجدار الحلق، وبطبيعة الحال عندما تضاعف الفتحة أو تشبع فإن التجهير والتوتر لنطقها يتضاعف تلقائياً، فعندما يرتفع أقصى اللسان فإن منطقة الحلق القريبة منه تنحرف وتعطي شيئاً من الضم الذي يرافقه التفخيم، وهذا لا يظهر في اللغة العربية الفصيحة بالقدر الذي يظهر في اللهجات العراقية.

وتفخيم الألف في الفصيحة أمر نسبي، وذلك حسب الصوامت المجاورة، فالألف بعد الطاء في (طاب) ta:ba مفخمة ولكنها ليست مفخمة في (ساد) sa:da. وهذا التفخيم وإن كان نسبياً من موطن إلى آخر فإنه يؤكد حقيقة مفادها أن الفرق بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة لا ينحصر في الكمية، بل يوجد في الكمية والكيفية (أي كيفية عمل اللسان ومواضعه) وذلك

---

(1) خالد إسماعيل، ألف التفخيم في اللهجات العربية الحديثة في منطقة الجزيرة العراقية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٥، ١٩٧٢م.

على العكس مما يراه إبراهيم أنيس: "فكيفية النطق بالفتحة وموضع اللسان معها تماثل كل المماثلة كيفية النطق بما يسمى ألف المد، مع ملاحظة فرق الكمية بينهما"[1]

وقد عد سلمان العاني الفرق النوعي او الكيفي بين الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة أظهر وأوضح منه في الحركات الأخرى[2].

ب- الحركات الطويلة التي تنشأ عن إشباع القصيرة ولا تؤدي إلى تغيير المعنى

وهذا النوع قد يأتي لإقامة الوزن الشعري كما ورد في أمثلة ابن جني في سر الصناعة وهي

فبينا نحن نرقبه أتانا مُعَلِّقَ وفضةٍ وزناد راعي[3]

والشاهد فيه كلمة بين bayna أشبعت حركة الفتحة في اخر الكلمة فأصبحت بينا bayna

وقال الشاعر أيضاً

وأنني حوثما يُثني الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنو فأنظور[4]

---

(١) الأصوات اللغوية، ٣٨

(٢) نظر سلمان العاني، التشكيل الصوتي (في اللغة العربية) ص٤١، ٤٣، ترجمة ياسر الملاح، ط١، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣

(٣) سر صناعة الإعراب ٢٣.١

(٤) المرجع نفسه ١ ٢٦

وفي هـذا البيت أشبعت حركة الضمة /u:/ بعد الطاء في كلمة فأنظر فأصبحت فأنظور

وقال الشاعر أيضاً:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة   نفي الدراهيم تنقاد الصياريف[1]

وفي هـذا البيـت أشـبعت حركة الكسر /i/ في كلمة (الصيارف) ṣaya:rif فأصـبحت ṣaya:ri:fi. وطـول الحركات هنا أو إشباعها طول ألوفوني أي أنه لم يؤد إلى تغيير المعنى، وهذا يعني ما ذهب إليه محمد الخولي في قوله: "... إن الطول فونيمي مع الصوائت وألوفوني مع الصوامت"[2]

فالطول في الصوامت فونيمي في مواضع، وألوفوني في مواضع أخرى.

ج- الحركات الطويلة التي تنشأ عن إشباع الحركات القصيرة للتعويض عن إسقاط شبه الحركة عند تشكل المزدوج.

ومثال ذلك

أوعد ʔawʕad

موعد muwʕid ← u/ϕ ← w /-muʕid

موعد mu:ʕid

(١) المرجع نفسه ٢٦٠.١

(٢) محمد الخولي، الأصوات اللغوية، ٢٠٨، ط١، مكتبة الخريجي، الرياض، ١٩٨٧م

فقد بناء اسم الفاعل نشكل مزدوج هابط* مرفوض ترفضه العربية(١)

وتخلصـــا من المزدوج تسقط شبه الحركة الواو w ويعوض عنها بمد الحركة التي قبلها، وهذا يمثل إشباعاً للحركة القصيرة. ومن أمثلته أيضاً

يوقف yuwqifu

يوقف yu·qifu

وذلك بعد سقوط شبه الحركة، ومد الحركة السابقة لها. وهذا الإشباع لا يتأتى من قلب شبه الحركة إلى حركة كما يرى جان كانتينيو في قوله: "وقد تنضاف نصفا الحركتين الواو والياء إلى الحركتين المناسبتين فما فيكونان معهما حركتين طويلتين . نحو يوقف، وكوع"(٢).

٣- النوع الثالث من الحركات الطويلة هو الحركات التي يتشكل طولها من الجمع بين حركتين قصيرتين:

ومثال ذلك.

قـــال أصلها قول، وشبه الحركة الواو هنا يقع بين حركتين متجانستين فسقـــط شــبه الحركة بسبب تشكل مزدوج صاعد (w a) والعربية تميل إلى التقليل منه، وبسقوطه تلتقي حركتا الفتح ليتشكل حركة طويلة

---

* المـــزدوج الهابط هو وجود حركة متبوعة بشبه حركة ساكنة مثل (iy), (uw), (iw), (uy) انظر تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي

(١) انظـــر فوزي الشايب، تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، حوليات كلية الآداب، الحولـــية العاشـــرة، جامعة الكويت، ١٩٨٩ وانظر التشكيل الصوتي، ص٣٢

(٢) دروس في علم أصوات العربية ١٣٨ ١٣٩

الكمية الزمنية في الحركات العربية

تتباين الآراء في كمية الحركات العربية وخاصة كمية الحركات الطويلة بالنسبة للقصيرة، وسأحاول هنا رصد الكمية الزمنية في الحركات القصيرة والحركات الطويلة، وإظهار التفاوت بينهما، وكذلك رصد كمية الحركات القصيرة، والتفاوت بينها تبعاً للعوامل المؤثرة من حيث طبيعة الصوامت المجاورة.

وقد أشار بعض العلماء إلى التفاوت في الكمية بين الحركات، فمنهم من قال إن الحركات الطويلة تقع في ضعف الحركات القصيرة، ومنهم من قال تقع في أضعافها، ومنهم من قال إن الحركات المتبوعة بمجهور أطول من الحركات المتبوعة بمهموس، والمتبوعة باستمراري أطول من المتبوعة بوقفي، والمتبوعة بصامت مضعف أطول من المتبوعة بصامت غير مضعف، وسترد هذه الآراء كل في موطن عرضه ونقاشه، ولم تظهر علة هذا التفاوت في كمية الحركات في آراء الباحثين باستثناء ما أشار إليه إبراهيم أنيس في تعليله بزيادة كمية الحركة الطويلة المتبوعة بالهمزة كما يتضح عند العرض هذه الجزئية، وسأحاول رصد هذا التفاوت في كمية الحركات، مستأنساً بالتجارب المخبرية ما أمكن، وإظهار علة هذا التفاوت.

لقد حاولت رصد كمية الحركات من خلال التجارب المخبرية، فأجريت هذه التجارب على عينة تتكون من عشرة أشخاص من طلاب الجامعة الأردنية.

وقد عرضت لكمية الحركات مراعياً العوامل المؤثرة من حيث طبيعة الأصوات المجاورة وخاصة اللاحقة للحركة، وكذلك وحدة المقياس في الجهاز

عـــد رصد الكميه، وكذلك سلامة الجهاز الصوتي لأفراد العينة، وذلك بعدم إجراء التجربة على فرد مصاب بعيوب نطقية، أو التهاب في جهازه الصوتي، أو ما يؤثر على طبيعة صوته

وقــد اعتمدت المتوسط الحسابي لعينة الدراسة بوصفه الزمن الذي يمثل كمية الحركة المراد تحديد كميتها، وقد وضعت قراءات العينه في جداول بحيث يظهـــر كل جدول كمية الحركة عند كل متكلم، والمتوسط الحسابي الذي يمثل كمية الحركة في نطق أفراد العينه.

أولاً: الكمية الزمنية في الحركات القصيرة.

أ- الحركات القصيرة المتبوعة بمجهور أو مهموس

يقول داوود عبده "والعلة الواقعة قبل صحيح مجهور تكون أطول من نظيرتها الواقعة قبل صحيح غير مجهور"(١) وللوقوف على حقيقة هذه الآراء فقد أجريـــت الـــتجربة المختـــبرية على الفتحة الواقعة بعد صوت الكاف في كلمة (كتـــب/ kataba) فتبين أن كميتها تصل إلى ١٠,٧% سبعة وعشرة من مئة بالمـــئة مـــن الثانية، وهذه الحركة متبوعة بصوت (التاء/ t)، وهو صوت وقفي مهمـــوس. وعـــند قـــياس كمية الفتحة الواقعة بعد صوت (الكاف) في كلمة (كـــدر/kadara) فقـــد تبين أن كميتها تصل إلى ٨% ثمانية بالمئة من الثانية، وهذه الحركة متبوعة بصوت (الدال/d) وهو صوت وقفي مجهور، وتظهر كمية الفتحة المتبوعة بصوت التاء، والفتحة المتبوعة بصوت الدال في الجدول رقم (١) الذي يمثل كمية الفتحة لدى عينة الدراسة

---

(١) داود عبده، دراسات في علم أصوات العربية، ص٣١، مؤسسة الصباح، الكويت، ١٩٧٠م وانظر الأصوات اللغوية، ص٥٩ وانظر علم الأصوات، ص١٠١

جدول رقم (١)

الكلمة/ كدر	الكلمة/ كتب	أفراد العينة
%٧,١٥	%٦,٣١	١
%٨,٢٥	%٧,٣٤	٢
%٨,١١	%٧,٢١	٣
%٧,٢٦	%٦,٧٥	٤
%٩,١١	%٦,٨٠	٥
%٨,١٧	%٧,٧٣	٦
%٩,٢١	%٨,١٢	٧
%٦,٩٧	%٦,٢٥	٨
%٧,٣٢	%٧,١١	٩
%٨,١٥	%٧,١٥	١٠
المتوسط ٨%	المتوسط ٧,١٠%	

بجدول رقم (١) وفيه العمود الأول يمثل زمن الفتحة المتبوعة بصوت التاء، والعمود الثاني يمثل زمن الفتحة المتبوعة بصوت الدال

ومن خلال التجربة السابقة فقد ثبت أن الحركة المتبوعة بصامت مجهور أطول من الحركة المتبوعة بصامت مهموس؛ وعلة ذلك أن الحركات أصوات مجهورة، وعندما تكون متبوعة بصامت مجهور فإن كميتها تزيد عنها عندما تكون متبوعة بصامت مهموس؛ وذلك بسبب تداخل عملية الجهر، فالانتقال من مجهور إلى مجهور لا يستدعي تغيير وضعية الأوتار الصوتية، ولو حصل بعض التغيير في هذه الوضعية فإنه تغيير محدود يبقى ضمن دائرة واحدة

ومن هنا فإن الجهر المؤدي إلى إنتاج الحركات يبقى مستمراً إلى أن يبدأ مرحلة إنتاج الصامت المجهور اللاحق للحركة، ومن هنا فإن كمية الحركات المتبوعة بمجهور تزيد على الحركات المتبوعة بمهموس، وذلك بسبب تداخل الجهر بين الحركة والصامت اللاحق المجهور، وبمعنى آخر فإنه لا يوجد زمن مفقود لعدم تنقل الأوتار من وضعية إلى أخرى، أما الانتقال من حركة إلى الصامت المهموس فإنه انتقال من مجهور إلى مهموس، وهذا فيه تحول الأوتار الصوتية من وضعية إلى أخرى مما يؤدي إلى وجود زمن مفقود تستغرقه الأوتار في عملية التحول

ب الحركات القصيرة المتبوعة بصامت وقفي أو استمراري مجهور أو مهموس

لا ينحصر أثر كمية الحركات بطبيعة الصامت اللاحق من حيث كونه مجهوراً أو مهموساً، بل تتأثر الكمية في الحركات حسب طبيعة الصامت اللاحق من حيث هو استمراري أو وقفي؛ فقد تقع الحركة متبوعة بصامت مجهور، ولكنها تختلف في كميتها حالة وقوعها قبل صامت مجهور وقفي، وقد أشار بعض العلماء إلى هذه العوامل المؤثرة، يقول برتيل مالمبرج "إن كمية الحركة تعتمد على الساكن التالي لها، فالحركة إذا تلاها ساكن احتكاكي أطول منها إذا تلاها وقفي"[1]

وقد أشار داوود عبده إلى الصامت الاستمراري اللاحق للحركة وأثره في زيادة كميتها[2] ولمعرفة قيمة هذا الأثر ومدى حقيقته فقد أجريت التجربة

---

(١) علم الأصوات، ١٠١

(٢) انظر دراسات في علم أصوات العربية، ٣١

المخبرية على حركة الكسرة حالة كونها متبوعة بصامت استمراري مجهور، وحالة كونها متبوعة بصامت وقفي مجهور، وذلك في كلمتي (عنب ʕinab، وعبر ʕibar)، وعند نطق كلمة (عنب)- بحركة العين والنون- تبين أن طول الكسرة المتبوعة بصوت النون يصل إلى (٥٧,٨٩%) سبعة وتسعة وثمانين من مئة بالمئة من الثانية، وهذه الكمية تصل إلى (٥٨%) ثمانية بالمئة من خلال التقريب، والكسرة هنا متبوعة بصوت النون، وهو صامت استمراري مجهور. وعند رصد كمية الكسرة في كلمة (عبر) فقد تبين أن كميتها تصل إلى (٧,٧٠) سبعة وسبعين من مئة بالمئة من الثانية، والكسرة هنا متبوعة بصوت الباء، وهو صامت وقفي مجهور، وتظهر قراءة العينة لكلمة (عنب) في العمود الأول من الجدول رقم (٢) وفي العمود الثاني من الجدول نفسه تظهر قراءة كلمة (عبر) ومع أن الفرق في الكمية بين الحركة من الموقعين قليل جداً، إلا أن هذا الفرق يظهر أن الحركة المتبوعة بصامت استمراري مجهور أطول من الحركة المتبوعة بصامت وقفي مجهور

ولم أحصر التجربة على الصامت المجهور اللاحق للحركة بل أجريت تجربة مخبرية لرصد أثر الصامت المهموس على الحركة، وذلك من خلال كلمتي: (مسهب mushib، ومقنع muqniʔ) فعند رصد كمية حركة الضمة في (مسهب) فقد تبين أنها تصل إلى (٥٧,١٩%) سبعة وتسعة عشر من مئة بالمئة من الثانية، والضمة هنا متبوعة بصوت السين، وهو صامت استمراري مهموس، وعند رصد كمية الضمة في (مقنع) فقد تبين أنها تصل إلى (٥٦,٩٥%) ستة وخمسة وتسعين من مئة بالمئة من الثانية، والضمة هنا متبوعة بصوت القاف، وهو صامت وقفي مهموس، ومع أن الفرق في الكمية بين حركة الضمة في الموقعين قليل جداً إلا أنه يظهر أثر الصامت الاستمراري

اللاحق للحركة في طولها، وتظهر في العمود الثالث من الجدول رقم (٢) قراءة العينـــة لكلمة (مسهب)، وتظهر في العمود الرابع من الجدول نفسه قراءة العينة لكلمة (مقمع)

جدول رقم (٢)

أفراد العينة	الكلمة (عتب) الحركة (i)	الكلمة (عير) الحركة (i)	الكلمة (مسهب) الحركة (u)	الكلمة (مقمع) الحركة (u)
١	%٨,٢٧	%٧,٤٦	%٦,٨٨	%٦,٦٣
٢	%٨,١٢	%٨,١٠	%٧,٦٢	%٦,٩٧
٣	%٧,٥٣	%٧,٦٠	%٧,٥٥	%٧,١١
٤	%٧,٦٣	%٧,٥٢	%٧,٨٣	%٥,٢٣
٥	%٧,٥٦	%٦,٩٣	%٦,٩٥	%٧,٨٠
٦	%٨,٥١	%٨,٤٥	%٧,٧٢	%٧,١٠
٧	%٧,٦٥	%٧,٦٥	%٤,٦٢	%٤,٦٨
٨	%٨,١٠	%٨,٠٣	%٧,٨٦	%٧,٩٠
٩	%٦,٩٥	%٦,٧٣	%٦,٩٦	%٩,٠٣
١٠	%٨,٦٠	%٨,٥٣	%٧,٩٣	%٧,١١
	المتوسط %٧,٨٩	**المتوسط %٧,٧٠**	**المتوسط %٧,١٩**	**المتوسط %٦,٩٥**

جـــدول رقم (٢) ويمثل كمية الحركة المتبوعة بصامت استمراري، أو وقفي، مجهور أو مهموس

ج- الحركة القصيرة الناتجة عن تقصير الحركات الطويلة

لم يشر العلماء إلى كمية هذا النوع من الحركات وهي الحركات القصيرة التي تنتج من الحركات الطويلة بعد دخول عامل الجزم، فقد يكون لعامل الجزم أثر على كمية هذه الحركات، ولرصد كمية هذه الحركات فقد أجريت تجربة مخبرية على بعض الكلمات، وقد روعي في هذه التجربة توحيد الصامت اللاحق من حيث الجهر، وسكون الصامت اللاحق، وأن يكون هذا الصامت استمرارياً، وقد أجريت التجربة على الكلمات التالية (يـم yanam، يقـل yaqul، يبع yabiʔ)، وقد بلغت كمية الفتحة المقصرة في كلمة (يـم) ٧,٠٢% سبعة واثنين من مئة بالمئة من الثانية، أما الضمة المقصرة في كلمة (يقـل) فقد بلغت ٦,٧٥% ستة وخمسة وسبعين من مئة بالمئة من الثانية ووصلت كمية الكسرة في كلمة (يبع) إلى ٦,٥٩% ستة وتسعة وخمسين من مئة بالمئة من الثانية

وتظهر كمية هذه الحركات في الجدول رقم (٣) الذي يمثل عينة التجربة، فالعمود الأول من التجربة يظهر كمية الفتحة، والعمود الثاني يظهر كمية الضمة، والعمود الثالث يظهر كمية الكسرة

وبما أن الحركات من نوع الحركات القصيرة المتبوعة بصامت استمراري مجهور، فالوضع الطبيعي أن تصل كميتها إلى ٨% من الثانية، ولكنها في الفتحة نقصت بنسبة ١% واحد بالمئة من الثانية، أي أنها أقل من ٧% سبعة بالمئة من الثانية، حيث تصل إلى ٧% سبعة بالمئة من الثانية في الضمة والكسرة من خلال التقريب.

وأحسب أن تقصير الحركة بفعل عامل الجزم يؤدي إلى سرعة في أداء نطق الكلمة كاملة، وهذه السرعة قد تؤثر على زمن أصوات الكلمة كلها، فلا

تتريث الأعضاء النطقية عند نطق أصوات الكلمة فيؤدي ذلك إلى تقصير الزمن لـــدي تستغرقه أصوات الكلمة، وبذلك تتأثر كمية الحركة، فتقل عن وضعها الطبيعي، وتظهر كمية الحركة المتبقية بفعل عامل الجرم في قراءة أفراد العينة في الجدول التالي.

جدول رقم (٣)

أفراد العينة	الكلمة (يتم) الحركة (a)	الكلمة (يقل) الحركة (u)	الكلمة (يبع) الحركة (i)
١	%٧,٥٤	%٦,٩٣	%٦,٧٢
٢	%٧,٢٠	%٧,٠٦	%٦,٩٣
٣	%٦,٩٦	%٧,٠٢	%٧,١٤
٤	%٧,٦٤	%٧,٣٢	%٧,٠٣
٥	%٧,٢٥	%٦,٩٥	%٦,٥٢
٦	%٦,٨٣	%٦,٥١	%٦,٦٧
٧	%٤,٦٨	%٣,٢٨	%٣,٥٩
٨	%٧,٧٢	%٧,٦٥	%٧,٠٥
٩	%٧,٢٣	%٧,٠٣	%٦,٩٧
١٠	%٧,١٩	%٧,٨٢	%٧,٣٠
	المتوسط %٧,٠٢	المتوسط %٦,٧٥	المتوسط %٦,٥٩

جـــدول رقـــم (٣) ويمثل كمية الحركات القصيرة الناتجة عن تقصير الحركات الطويلة بفعل عامل الجرم

ثانياً: الكمية الزمنية في الحركات الطويلة

بعد رصد الكمية الزمنية في الحركات القصيرة، سأحاول استيضاح الكمية في الحركات الطويلة، لرصد الفرق في الكمية بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة، ولإظهار مدى التفاوت في الكمية بين الحركات الطويلة حسب حالاتها المختلفة من حيث الصامت اللاحق، والمجهور والمهموس، والاستمراري والوقفي، ومدى كميتها عندما يكون اللاحق صامتاً مضعفاً أو همزة.

أ- الحركات الطويلة المتبوعة بمجهور أو مهموس، استمراري أو وقفي

عندما أشار العلماء إلى أن الحركة المتبوعة بمجهور أطول منها عندما تكون متبوعة بمهموس، فإن كلامهم لم يكن مقتصراً على الحركات القصيرة، بل كان المقصود بذلك الحركات بنوعيها: الطويلة، والقصيرة، وقد أشار إبراهيم أنيس إلى تأثر كمية الحركة بالصامت اللاحق بقوله: "ومما لاحظه المحدثون أن صوت اللين يزداد طولاً إذا وليه صوت مجهور"(١)

والمقصود بصوت اللين في قول أنيس هو الحركات أو صوت المد، ولكن هذا الخلط في التسمية وقع فيه القدماء وبعض المحدثين.

وللوقوف على كمية الحركات الطويلة ومدى زيادتها على القصيرة ومعرفة مدى التفاوت بين الحركات الطويلة فقد أجريت بعض التجارب على مجموعة من الكلمات؛ فعند قياس كمية الفتحة الطويلة في كلمتي: (قال qa:la وقاس qa:sa) فقد وصل المتوسط الحسابي لكمية الفتحة الطويلة في كلمة (قال) في قراءة العينة إلى ١٨,٠٦% ثمانية عشر وستة من المئة بالمئة من الثانية.

---

(١) الأصوات اللغوية، ١٥٩.

والفتحة الطويلة هنا متبوعة بصوت اللام، وهو صوت استمراري مجهور، وقد وصلت كمية الفتحة الطويلة في (قاس) إلى ١٧,٠٤% سبعة عشر وأربعة من مئة بالمئة من الثانية، والفتحة الطويلة هنا متبوعة بصوت السين، وهو صامت استمراري مهموس، وتظهر قراءة العينة في الجدول رقم (٤)، حيث يمثل العمود الأول من الجدول كمية الفتحة الطويلة في كلمة (قال)، ويمثل العمود الثاني كمية الفتحة الطويلة في كلمة (قاس) ومن خلال هذه التجارب يظهر الفرق في الكمية بين الحركة الطويلة المتبوعة بمجهور استمراري، والحركة الطويلة المتبوعة بمهموس استمراري؛ فقد زادت كمية الحركة الطويلة المتبوعة بمجهور

[illegible]

في الجدول

جدول رقم (٤)

أفراد العينة	الكلمة (قال) الحركة (a)	الكلمة (قاس) الحركة (a)	الكلمة (سبق) الحركة (i:)	الكلمة (قيد) الحركة (i:)
١	%٢٣ ١٣	%٢١,٦٧	%١٩,٥٤	%٢١,١٢
٢	%١٨ ٩١	%١٧,٠٣	%١٧,١٣	%١٧,٧٣
٣	%١٩,٩٧	%١٣,٧٦	%١٣,٩٦	%١٦,٠٣
٤	%١٦,٣٢	%١٥,٧٢	%١٥,٧٤	%١٥,٦٢
٥	%١٧,٩٢	%١٦,٩١	%١٦,٥	%١٧,٧٦
٦	%٢ ,٤٣	%١٧,٩٣	%١٨,٢٦	%١٧ ٥٨
٧	%١٢ ٦٦	%١٠,٩٤	%١٢,١٩	%١٢,٣٤
٨	%١٧,٢٦	%١٨,٨٦	%١٦,٧٦	%١٧,٠٢
٩	%١٩ ٤٨	%٢ ,١٧	%١٦ ٣٢	%١٤ ٩٦
١٠	%١٨,٥٧	%١٧,٤٦	%١٧,٧٣	%١٧ ١٣
	المتوسط ١٨,٠٦%	المتوسط ١٧,٠٤%	المتوسط ١٦,٤١%	المتوسط ١٧,٧١%

جدول رقم (٤) ويمثل كمية الحركة الطويلة المتبوعة بمجهور أو مهموس، استمراري أو وقفي.

وأحسب أن العلة في زيادة كمية الحركة المتبوعة بمجهور على كمية الحركة المتبوعة بمهموس تعود إلى طبيعة عمل الوترين الصوتيين، وذلك لتداخل الجهر بين الحركات والصوامت المجهورة اللاحقة لتلك الحركات، وذلك كما رجحته في تعليل زيادة كمية الحركات القصيرة المتبوعة بمجهور على كمية الحركات المتبوعة بمهموس، فالعلة في تفاوت الكمية في الحركات القصيرة هي نفسها في الحركات الطويلة.

أما الحركة الطويلة المتبوعة بصامت وقفي مهموس أو مجهور، فقد تبين أن كميتها تختلف تبعاً للصامت اللاحق لها، ولرصد هذا الاختلاف، وكمية كل منهما فقد أجريت تجربة مخبرية على كلمتي (سيق si:qa، وقيد qi:d) ومن خلال هذه التجربة فقد تبين أن كمية حركة الكسرة الطويلة في كلمة (سيق) تصل إلى ١٦,٤١% ستة عشر وواحد وأربعين من مئة بالمئة من الثانية كما هو مبين في الجدول رقم (٤) والكسرة هنا متبوعة بصوت القاف، وهو صامت وقفي مهموس. أما الكسرة الطويلة في كلمة (قيد) فقد وصلت كميتها إلى ١٧,٧١% سبعة عشر وواحد وسبعين من مئة بالمئة من الثانية، والكسرة هنا متبوعة بصوت الدال؛ وهو صامت وقفي مجهور وتظهر كمية الحركتين في الجدول رقم (٤) حيث يمثل العمود الثالث كمية الكسرة الطويلة في كلمة (سيق)، ويمثل العمود الرابع كمية الكسرة الطويلة في كلمة (قيد)، وتظهر هذه التجربة زيادة كمية الكسرة في (قيد)، بنسبة ١% تقريباً على كمية الكسرة في

(سوى) وقد اجتمعت في كسرة (سيق) بعض العوامل المؤدية إلى قصرها مقارنة مع الكسرة في (فيد)؛ فهي (سيق) جاءت لكسرة متبوعة بصامت مهموس، وهذا من العوامل المؤثرة سلباً على كمية الحركة، وهذا الصامت المهموس من الصوامت الوقفية؛ وهو عامل آخر يؤثر سلباً على كمية الحركة

ب- الحركات الطويلة المتبوعة بصامت مجهور استمراري أو وقفي

لقد حاولت معرفة كمية الحركات الطويلة بشكل أوسع، ومعرفة مدى أثر الصوامت المجاورة على كميتها، وذلك برصد كمية الضمة الطويلة المتبوعة بمجهور استمراري، وعندما تكون متبوعة بمجهور وقفي وللوقوف على كمية هذه الحركة فقد أجريت التجربة المخبرية على كلمتي (سور Su:r، وسود su:d) وقد وصل المتوسط الحسابي لكمية الضمة في كلمة (سور) إلى ١٩,٤٦% تسعة عشر وستة وأربعين من مئة بالمئة من الثانية كما هو مبين في الجدول رقم (٥)- والحركة هنا متبوعة بصوت الراء؛ وهو صامت استمراري مجهور، أما كمية الضمة الطويلة في كلمة (سود) فقد وصلت كميتها إلى ١٨,٩٠% ثمانية عشر وتسعين من مئة بالمئة من الثانية، والحركة هنا متبوعة بصوت الدال، وهو صامت وقفي مجهور، وتظهر نتائج التجربة في الجدول رقم (٥)

جدول رقم (٥)

أفراد العينة	الكلمة (سور) الحركة (u:)	الكلمة (سود) الحركة (u:)
١	%٢٤,١٤	%٢٣,٩٣
٢	%١٩,٣٧	%١٩,٦٢
٣	%١٧,٥٢	%١٨,١١
٤	%١٧,٧٣	%١٦,٢٢
٥	%١٨,٩٣	%١٨,٥٣
٦	%٢١,٤٣	%٢٢,٠٣
٧	%١٤,٨٤	%١١,٠٢
٨	%٢٣,٢٢	%٢٢,١٣
٩	%١٨,٢٩	%١٨,٥٧
١٠	%١٩,١٧	%١٨,٩٣
	المتوسط %١٩,٤٦	المتوسط %١٨,٩٠

جدول رقم (٥) ويمثل كمية الحركة الطويلة المتبوعة بمجهور استمراري أو وقفي

ومن خلال هذه التجربة تظهر كمية الضمة الطويلة المتبوعة بمجهور استمراري أطول من كمية الضمة المتبوعة بمجهور وقفي، وهذا الفرق في الكمية بين الحركتين قليل جداً، فالضمة الطويلة في كلمة (سود) تقرب إلى ١٩ % تسعة عشر بالمئة من الثانية، ولكن هذا الفرق مهم كاشف قيمة يظهر زيادة كمية الحركة المتبوعة بمجهور استمراري على كمية الحركة المتبوعة بمجهور وقفي

وأحسب أن علة زيادة كمية الحركة المتبوعة بصامت استمراري على كمية الحركة المتبوعة بصامت وقفي تعود إلى الزمن الذي يستغرقه الصامت الاستمراري بالنسبة للصامت الوقفي، حيث تزيد كمية الصامت الاستمراري على كمية الصامت الوقفي، فقد رصدت كمية كلمتي (سور، وسود) فبلغت كمية كلمة (سور) ٤٧,١٩% من الثانية، في حين بلغت كمية كلمة (سود) ٤٤,٧٨% من الثانية، ومع عدم جزمي بهذا السبب إلا أني أميل إلى صحته.

ج- **الحركة الطويلة المتبوعة بصامت مضعف استمراري أو وقفي.**

وفي هذه النقطة أردت أن أتبين أثر الصامت المضعف الاستمراري على كمية الحركة مقارنة مع أثر الصامت المضعف الوقفي، ولمعرفة هذا الأثر ومدى حصلاه بين الاستمراري والوقفي، فقد أجريت التجربة المخبرية على كلمتي (ضال da:ll، راد ra:dd) وقد بلغ متوسط قراءة العينة للفتحة الطويلة في (ضال) ٢٣,٤٦% ثلاثة وعشرين وستة وأربعين من مئة بالمئة من الثانية، والفتحة الطويلة هنا متبوعة بصوت اللام، وهو صامت مضعف استمراري مجهور.

أما الفتحة الطويلة في كلمة (راد) فقد بلغ متوسط قراءة العينة للفتحة الطويلة فيها ٢١,٩٣% واحداً وعشرين وثلاثة وتسعين من مئة بالمئة من الثانية، والفتحة الطويلة هنا متبوعة بصوت الدال؛ وهو صامت مضعف وقفي مجهور. ويلاحظ أن كمية الفتحة الطويلة في (ضال) تزيد عن كمية الفتحة الطويلة في راد بنسبة ١,٥٠% من الثانية.

ومن هنا فإن الحركة المتبوعة بصامت مضعف استمراري أطول من الحركة المتبوعة بصامت مضعف وقفي، فالجهر مشترك بين صوتي اللام والدال،

وكلاهمـــا مصعف، والفرق بينهما أن اللام صامت استمراري، والدال صامت وقفي

وتظهر كمية الحركة موضوع التجربة في الجدول رقم (٦) وذلك من خلال وجود الفتحة الطويلة في كلمتي ضال، وراد

جدول رقم (٦)

أفراد العينة	الكلمة (ضال) الحركة (a:)	الكلمة (راد) الحركة (a:)
١	%٢٣,١٧	%٢٢,٢٧
٢	%٢٤,١٩	%٢٣,٠٣
٣	%٢٥,٣٦	%٢٢,٨٦
٤	%١٩,٧٦	%١٩,٧٠
٥	%٢٢ ٩٣	%٢١,٩٥
٦	%٢٠,٥٩	%٢٠,١٣
٧	%٢٥,٤٧	%١٨,٢٨
٨	%٢٤,١٦	%٢٣,١٠
٩	%٢٣,١٣	%٢٢,٩٦
١٠	%٢٥,٩١	%٢٥,١١
	المتوسط %٢٣,٤٦	المتوسط %٢١,٩٣

جدول رقم (٦) يمثل كمية الحركة الطويلة المتبوعة بصامت مضعف استمراري أو وقفي

وقـــد علل ابن جني تمادي كمية الحركة عندما تكون متبوعة بصامت مضـــعف بقوله " ... وأما سبب تمكنهن ووفائهن إذا وقع المشدد بعدهن فلأنهن

كمـا تـرى سواكن، وأول المثلين مع التشديد ساكن، فيحمو عليهم أن يلتقي الساكنان حشوا في كلامهم، فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضاً مما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها "(١).

وهـذا التعليل لا يمثل القول الفصل، وأحسب أن رأي إبراهيم أنيس أرجح من رأي ابن جني، حيث يرى إبراهيم أنيس أن أصوات المد تقصر عندما يليها صوتان ساكنان، وهذا من نسيج العربية، وحرصاً على صوت المد وإبقاء على ما فيه من صوت فقد تولع في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة(٢).

وقد تعود العلة في زيادة كمية الحركات في هذه الحالة إلى الوضعية التي تأخذها أعضاء النطق عند نطق المضعف، حيث تتريث الأعضاء النطقية في إنتاجها للمضعف، ومن هنا تتأثر الحركة السابقة بهذا التريث فتزداد كميتها مماثلة للصوت اللاحق من حيث الكمية.

د- الحركة الطويلة المتبوعة بهمزة

يتردد طول الحركة الطويلة المتبوعة بهمزة بنسبة تقارب زيادة كمية الحركة الطويلة المتبوعة بصامت مضعف، وزيادة كمية الحركة المتبوعة بهمزة واضحة لدى المتكلم ولدى السامع أو المستقبل، ولمعرفة متوسط كمية الحركة الطويلة المتبوعة بهمزة فقد أجريت تجربة مخبرية على كلمتي (مساء masa.?، ورجـاء raja.?) وقـد بلغـت كمية الفتحة الطويلة في (مساء) ٢٠,٣٩%

---

(١) ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، ٣/ ١٢٤-١٢٦، تحقيق محمد علي النجار، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م.

(٢) انظر الأصوات اللغوية، ١٥٩.

عشــرين وتسعة وثلاثين من مئة بالمئة من الثانية، أما الفتحة الطويلة في (رجاء) فقـــد بلغت كميتها (٢١،٣٥%) واحداً وعشرين وتسعة وثلاثين من مئة بالمئة من الثانية وذلك كما يتضح في الجدول رقم (٧).

جدول رقم (٧)

أفراد العينة	الكلمة (مساء) الحركة (a:)	الكلمة (رجاء) الحركة (a:)
١	٢١,٨٢%	٢١,٩٧%
٢	١٩,٢٢%	٢١,٢٥%
٣	١٨,٩٢%	٢١,٩٧%
٤	٢٠,٠٩%	١٩,٧٠%
٥	١٩,٥٦%	٢٠,٨١%
٦	٢١,٤٣%	٢٢,٧٠%
٧	١٣,٩١%	١٣,٤٤%
٨	٢٤,١٣%	٢٤,٨٣%
٩	٢٣,١٢%	٢٣,٧١%
١٠	٢١,٧٨%	٢٣,١٥%
	المتوسط ٢٠,٣٩%	المتوسط ٢١,٣٥%

الجـــدول رقـــم (٧) ويمثل كمية الحركة الطويلة المتبوعة بمهموس أو مجهور والمتبوعة بهمزة

ونلاحـــظ تقـــارب الكمـــية بين الحركات المتبوعة بصامت مضعف والحركات المتبوعة بالهمزة، وزيادة النوعين في كميته على الحركات الطويلة في المواطن الأخرى.

وقد أشار ابن جني إلى تمادي كمية الحركات عندما تكون متبوعة بهمزة: "إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتمكن مدتها، ثلاثة وهي أن يقع بعدها همزة فالهمزة نحو كساء، ورداء، وخطيئة، ومقروءة، وإنما تمكن المد فيهن مع أن الهمزة حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه طلن، وشعن في الصوت فوفين له وزدن في بيانه"[1]، ومضمون رأي ابن جني هنا يتضمن مخرج الهمزة ومنطقة الحركات، فهو يرى أن بعد المسافة بين موضع نطق الحركة ومخرج الهمزة اللاحقة يساعد في إطالة الحركة، والذي أرجحه أن العلة في إطالة الحركة المتبوعة بهمزة تكمن في بعد المسافة بين منطقة الحركات ومخرج الهمزة من جهة، وفي وضعية الأوتار الصوتية في كل من الحركات والهمزة؛ فالحركات أصوات مجهورة، ومنطقة تمايزها تقع في الفم، وتحديداً ضمن منطقة حركة اللسان، أما الهمزة فهي صوت لا مهموس ولا مجهور، وهو صوت حنجري[2]

وبما أن منطقة الحركات تقع في الفم، ومصدرها من الأوتار الصوتية، فإن إنهاء نطقها يحتاج لتوقف الأوتار الصوتية عن ذبذبتها، والأوتار الصوتية في هذه الحالة تتهيأ لإنهاء نطق الحركة والانتقال إلى وضعية معاكسة تماماً لوضعيتها الحالية؛ حيث تنتقل من انفراج يؤدي إلى الجهر في نطق الحركات إلى إغلاق كلي يمنع مرور الهواء[3] والعضو النطقي هنا لا يعمل عملين في وقت واحد، بل لابد من إنهاء مرحلة لتبدأ الأخرى، ولطبيعة هذا التباين بين أصوات الحركات والهمزة من حيث منطقة كل منها، والجهر والهمس، ووضعية الأوتار الصوتية

---

(١) انظر الخصائص ٣ ١٢٤ ١٢٦

(٢) انظر علم اللغة العام (الأصوات)، ٨٨

(٣) انظر المرجع نفسه، ٨٨

عـــند إنـــتاج الحركات، ووضعيتها عند إنتاج الهمزة كان لابد من زيادة كمية الحـــركات، وتماديها عند التحول لنطق الهمزة؛ وذلك لما للهمزة من خصوصية صوتية

وقد كانت إشارة إبراهيم أنيس لهذه النقطة لفتة علمية دقيقة إذ يقول: "أمـــا السر في الإطالة فهو - كما يبدو لي - الحرص على صوت اللين (أي المد) وطولـــه؛ لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين؛ إذ الأول يســـتلزم أن يكـــون مجرى الهواء معه حراً طليقاً، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطـــباقاً محكماً يليه انفراجها فجأة. فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضوي كبير، وإلى عملـــية صـــوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين" (1)

ومـــن خـــلال هذه التجارب المخبرية التي جاءت محاولة رصد كمية الحركات بنوعيها القصيرة، والطويلة نخلص إلى الملاحظات التالية:

١ لا تنحصر كمية الحركات الطويلة في ضعف كمية الحركات القصيرة، بـــل تتسع في ضعفها في مواطن، وتتجاوز ضعفها في مواطن أخرى ونســـبة زيـــادة كمية الحركات الطويلة عن ضعف كمية الحركات القصـــيرة أغلب وأشمل من نسبة حصرها في الضعف، وقد أصاب ابن ســـينا في إشارته إلى كمية الحركات الطويلة بالنسبة لكمية الحركات القصيرة إذ يقول: "ثم أمر هذه الثلاثة علي مشكل، ولكني أعلم يقيناً أن الألـــف الممدودة المصوتة تقع في ضعف، أو أضعاف زمان الفتحة،

(١) الأصوات اللغوية، ١٥٨

وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حـــرف، وكذلـــك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة، والياء المصوتة إلى الكسرة"[1]

فإشارة ابن سينا تبين إحساسه بتجاوز كمية الحركات الطويلة لضعف كمية الحركات القصيرة في بعض الحالات (فهي ضعف أو أضعاف) ومـــن هنا فإن رأي ابن سينا أدق من آراء المحدثين الذين جزموا بأن الحـــركات الطويلة تقع في ضعف الحركات القصيرة؛ فقد أشار أحمد الحمـــو إلى ذلـــك: "وإذا كـــان ابن سينا لم يقرر بشكل نهائي نسبة المصـــوت الطويـــل إلى المصوت القصير من حيث المدة الزمنية، أهي ضعف أم أضعاف، فإن الرأي قد استقر حالياً على أن المصوت الطويل يعـــادل ضـــعف المصوت القصير، وأن الحركة تعادل من حيث زمنها نصـــف زمن حرف المد"[2] وأعجب من رأي الحمو الزاعم باستقرار الـــرأي في كمـــية الحركات؛ فرأي من الذي استقر؟ وهل يقبل قطع وجزم في القول في الدراسات الإنسانية؟

وقد أشار صلاح الدين حسنين إلى أن كمية الحركات الطويلة تساوي ضعف كمية الحركات القصيرة[3]. وهو مجرد أخذ بآراء السابقين كما فعل الحمو

---

(١) رسالة أسباب حدوث الحروف، ٨٥

(٢) أحمـــد الحمـــو، محاولة ألسنة في الإعلال، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، الكويت، ١٩٨٩م

(٣) انظر صلاح الدين حسنين، المدخل إلى علم الأصوات (دراسة مقارنة)، ص٤١، ط٦، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٨١م

٢ تتفاوت الحركات في كميتها؛ فيغلب عليها أن تكون الضمة أطول الحركات تليها الفتحة ثم الكسرة، وهذا التفاوت يمكن تحديده في الحركات الطويلة، لأن الفرق في كميتها أظهر منه في القصيرة، وهو تفاوت غير ثابت وقطعي بعكس ما يراه بسام بركة؛ حيث يرى أنه تفاوت ثابت[1].

٣ تتفاوت كمية الحركات تبعاً لملامح الصوامت المجاورة وخاصة الصوامت اللاحقة، وذلك من حيث الجهر والهمس، والاستمرار والوقف، والتضعيف وعدمه

(١) انظر علم الأصوات العام، ١٣٥

الفصـــل الثـــاني

حركات اللغة العربية وقانونا المماثلة والمخالف



القسم الأول

حركات اللغة العربية وقانون المماثلة

ظاهرة المماثلة من الظواهر اللغوية التي تمثل ملمحاً هاماً في بناء الكلمة العربية، وتناسق أصواتها، وتؤدي ظاهرة المماثلة في اللغة العربية دوراً واضحاً في اختصـــار الجهد بالنسبة للمتكلم، ولا يقصد باختصار الجهد هنا الفترة الزمنية اللازمة لإنتاج الصوت أو مجموعات الأصوات التي تشكل بناء الكلمة، بل المراد بذلك إنتاج الأصوات اللغوية بجهد مريح للأعضاء النطقية في انتقالها من وضع إلى آخر، ومن مخرج إلى مخرج.

لقد تنبه علماء العربية إلى هذه الظاهرة، وقد ظهرت في الدرس اللغوي عنـــد القدماء، وذلك بشكل غير مباشر ضمن موضوعات لغوية مختلفة، فالحديث عن الإدغام يتضمن ظاهرة المماثلة، وكذلك الحديث عن الإعلال والقلب فإنه يتضمن ظاهرة المماثلة بشكل غير مباشر

والمتتبـــع لآراء العـــلماء في الدرس اللغوي يجد أن الحديث عن المماثلة يتجه في معظمه لدراسة هذه الظاهرة في الأصوات الصامتة، وقد نجد للقدماء ما يـــبرر هـــذا الاتجـــاه؛ حيث انصب اهتمامهم على الأصوات التي تشكل البنية الرئيسة للكلمة أو قاعدتها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد تركز اهتمامهم على النواحي الإعرابية من حيث نوع الحركة، وعدم ملازمة هذا النوع لأواخر الكلـــم، ومـــن هنا فقد كان جل اهتمامهم منصباً على وظيفة الصوت لا على طبيعتـــه وخاصـــة الحـــركات، وهذا جهد نُجلّه؛ فقد كان دافعهم الغيرة على العربية، ومواجهة اللحن الذي داخل الألسنة آنذاك

ومهما يكن فقد عرض القدماء لظاهرة المماثلة في الحركات وإن كان هذا العرض مختصراً، فقد وردت عند القدماء باسم (الإتباع)، ففي «الكتاب» يقول سيبويه في حديثه عن الهاء التي هي علامة الإضمار: "اعلم أن أصلها الضم وبعدها الواو؛ إلا أن تدركها هذه العلة التي أذكرها لك، فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة، لأنها خفية كما أن الياء خفية، وهي من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة"[1]

ومع أن التحول يقع في الحركة لا في الصامت إلا أن سيبويه يركز تعليقه على الصامت (الهاء)، ويعلل سبب تحول الضمة إلى كسرة بوجود مماثلة بين صوتي (الهاء، والياء) من حيث الخفاء والزيادة، والأولى أن يعلل سبب انقلاب الضمة كسرة مماثلة للكسرة التي سبقت (الهاء)، ويظهر تعليل سيبويه السابق ما للصوامت من سيطرة على الدرس اللغوي عند القدماء.

يقول الأنباري في الإنصاف ضمن حديثه عن حركة همزة الوصل:

"ذهب الكوفيون إلى أن الأصل في حركة همزة الوصل أن تتبع حركة عين الفعل، واحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأنه لما وجب أن يزيدوا حرفاً لئلا يبدأ بساكن، ووجب أن يكون الحرف الزائد متحركاً، وجب أن تكون حركته تابعة لعين الفعل طلباً للمجانسة، ألا ترى أنهم قالوا (مُنْتُن) فضموا التاء إتباعاً لضمة الميم، وكذلك قالوا فيها (مِنْتِن) فكسروا الميم إتباعاً لكسرة التاء"[2]

---

(1) الكتاب ٤/ ١٩٥، وانظر الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ١/ ٧٠، ٧٠، ٨٣، ١٣٢.

(2) الأنباري (كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن)، الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٧٣٧، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ١٩٨٢م

والمماثلة هي حجة صوتية لإثبات قضية لغوية خلافية، ولكن دون تصور عميق هذه الظاهرة من الناحية الصوتية؛ فالطرح يتمحور حول مشابهة الحركات بمعزل عن معرفة الدوافع لهذا الإتباع، ومما يشير إلى عدم تمثل هذه الظاهرة تمثلاً دقيقاً من الناحية الصوتية ما يقوله الأنباري في الإنصاف "التحريك للإتباع ليس قياساً مطرداً، وإنما جاء ذلك في بعض المواضع في ألفاظ معدودة قليلة جداً، وذلك الإتباع عن طريق الجوار، لا على طريق الوجوب"[1]

فالإتباع ليس قياساً مطرداً كما يرى، لأن الإتباع يجيء لحل معضلة لغوية، وقد يكون حلها بعدم الإتباع أي بالمخالفة، ولكن الإتباع واجب في بعض المواطن، إذ الظاهرة اللغوية تلزم وجوبه عندما يكون عكسه شاذاً نابياً؛ فمع أن الأصل أن تقول (بهُ وعليهُ) بضم الهاء إلا أن هذا النطق يظهر نشازاً فيكون الإتباع واجباً لتحصيل الانسجام والتناسق الصوتي.

وقد أشار ابن مالك إلى هذه الناحية، فالأصل هو الضم، ولكن يعدل عنه إلى الكسر وفي ذلك يقول: "وهاء مضمومة للغائب، وإن وليت ياء ساكنة أو كسرة كسرها غير الحجازيين"[2] فضم هاء الغائب هو الأصل كما ينص ابن مالك على ذلك لكن بقاءها على هذا الأصل يمثل نشازاً صوتياً، عدل عنه من خلال قانون المماثلة.

(١) ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي بن علي بن يعيش)، شرح المفصل، ٤ /٩٥، عالم الكتب، بيروت، د.ت

(٢) ابن مالك (أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص ٢٤، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م

يشير السيوطي في حديثه عن أقسام الحركات إلى حركة الإتباع بقوله "وحركة اتباع كقراءة "الحمد لله" بكسر الدال، "للملائكة اسجدوا" بضم التاء"[1] ويظهر من هذه الأمثلة أن الإتباع لا يقتصر على اتباع اللاحق للسابق بل يأتي باتباع السابق للاحق، وهذه طبيعة ظاهرة المماثلة في الأصوات العربية مما سبق يتبين أن المماثلة قد ظهرت في الدرس اللغوي عند القدماء، ولكنها ركزت على الصوامت، وقد جاء عرضها ضمن معالجة بعض القضايا اللغوية بشكل غير مباشر، أما معالجتها في الحركات فقد كانت قليلة تنحصر في ما أسموه بالإتباع، حيث جاء جل الحديث عنها في هاء الغائب واتباع حركتها للكسرة أو للياء السابقة.

وعندما نلمس ظاهرة المماثلة عند المحدثين نجد أن الأمر لا يختلف كثيراً عنه عند القدماء، فقد انصب حديثهم في هذه الظاهرة على الأصوات الصامتة من حيث المماثلة في الجهر والهمس، والتفخيم والترقيق، والتدوير وعدمه، والمماثلة في المخرج إضافة إلى حديثهم عن أنواع هذه المماثلة: تامة أو جزئية، متقدمة أو متأخرة، مباشرة أو غير مباشرة، أما الحديث عن المماثلة في الحركات فكان مختصراً إذا ما قيس بالحديث عن المماثلة في الصوامت

لقد أشار كمال بشر إلى المماثلة بين الحركات والصوامت في التفخيم والترقيق. "فالفتحة بذاتها لا تتصف بتفخيم أو ترقيق، وإنما تعتريها هذه الظاهرة في السياق أي بسبب تأثرها بما يجاورها من الأصوات"[2] ويشير محمد الخولي

---

(1) السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 1: 60، تحقيق عبد السلام هارون، وعبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، د. ت.

(2) دراسات في علم اللغة 135

إلى هـذا النـمط مـن المماثلة، إضافة إلى المماثلة في المخرج، والتدوير، وهي إشارات مختصرة[1]

وهـناك إشـارات للمماثلة عند غالب المطلبي ولكنه يميل في دراسته للتطبيق على اللهجات القديمة أو الإشارة إلى اللغات الأخرى غير العربية، وقد عـرض للمماثلة في التفخيم والترقيق، والمماثلة في المخرج وهي إشارات سريعة اتكـأ فيها عـلى دراسة أحمد مختار عمر[2]. وللتعرف إلى قانون المماثلة في الحـركات سأعرض للمماثلة بين الحركات والصوامت بأنواعها، وللمماثلة بين الحـركات وأشـباه الحركات، وللمماثلة بين الحركات، وذلك بالتطبيق على بعض الأمثلة التي توضح القانون في موقعه ضمن نوعية المماثلة

أولاً- المماثلة بين الحركات والصوامت

أ- المماثلة بين الحركات والصوامت في التفخيم والترقيق:

الحركات بطبيعتها تقع متوسطة بين التفخيم والترقيق، وهي إلى الترقيق أقـرب مـنها إلى التفخيم، وذلك لأنّ التفخيم يعتري الحركات عند مجاورتها للأصـوات المفخمة، والصوامت المفخمة أقل من الصوامت غير المفخمة، وقد أشار أحمد مختار عمر إلى الصوامت المفخمة بقوله "الأصوات المفخمة في اللغة العربية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

أ أصـوات كاملة التفخيم، أو مفخمة من الدرجة الأولى وهي الضاد، والصاد، والطاء، والظاء، واللام المفخمة

---

(1) الأصوات اللغوية، ١٢٠

(2) في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية)، ٥١-٥٣

ب- أصوات ذات تفخيم جزئي، أو مفخمة من الدرجة الثانية، وهي الخاء، والغين، والقاف.

ج- صوت يفخم في موضع ويرقق في موضع، وهو الراء"[1].

عندما تقع الحركة في درج الكلام فإنها من خلال مؤثرات هذا السياق تتأثر بطبيعة الأصوات المجاورة، فإذا سبقت حركة بالأصوات المطبقة فإنها تفخم تأثراً بهذه الأصوات، لأنّ كل مطبق* مفخم* وليس كل مفخم مطبق، والتفخيم في الحركات لا يقتصر على الجوانب التي أشار إليها بعض القدماء، فقد اكتفت هذه الدراسات بالإشارة إلى تفخيم الحركات عند مجاورتها للأصوات المفخمة، ومن خلال تتبع طبيعة هذا التفخيم فقد تبين أنه نسبي يختلف باختلاف طبيعة الصوت المجاور للحركة، وهذا ما أشار إليه كمال بشر

---

(1) دراسة الصوت اللغوي، ٢٧٨-٢٧٩

* الإطباق (أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له) سر صناعة الإعراب، ١/ ٦١، فالإطباق ارتفاع طرفي اللسان وتماسهما مع الأسنان مع تقعر ظهر اللسان مما يؤدي إلى اتساع حجرة الرنين وهذا يؤدي إلى تفخيم الصوت عند إنتاجه
ويرى إبراهيم أنيس أن أصوات الإطباق أصوات مفخمة وهذا يلائم طباع البدو وخشونتهم ولذلك شيوع تلك الأصوات في لهجات البدو وتميل إلى الانقراض من ألسنة المتحضرين. انظر في اللهجات العربية ١٢٥ وهذا الطرح لا يمت لقضية البادية والحضر بأي صلة؛ فالقضية متعلقة بطبيعة أصوات الإطباق وما يلزمها من جهد قياساً مع الأصوات الأخرى، وقد علمنا من القدماء والمحدثين أن ما عمل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد، والأصوات المطبقة يعمل لإنتاجها غير عضو، وتحتاج لوضعية خاصة تتطلب جهداً زائداً ومن هنا فقد قل شيوعها

* التفخيم "عبارة عن ربو يدخل على جسم الحرف، فيمتلئ الفم بصداه والتفخيم والتجسيم، والتسمين، والتغليظ بمعنى واحد" هامش الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ص٤٢-٤٣

"فالفتحة مثلاً قد تكون مفخمة وقد تكون مرققة، وقد تكون بين التفخيم والترقيق؛ فهي مفخمة مع أصوات الأطباق وهي في الحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق مع القاف والغين والخاء، ولكنها مرققة في المواقع الأخرى"[1]

ويتلمس حقيقة التفخيم نجد أن الحركة تفخم بنسبة تتوافق مع الصوت المجاور، فالفتحة في (طاف)، والضمة في (يطوف) سبقتا بصوت مطبق؛ فجاءتا مفخمتين بدرجة واضحة تزيد عن درجة التفخيم حالة وقوعهما بعد أصوات الغين، والخاء، والقاف، والراء في غاب، وخاف، ويقول، ويرود

ولا يتوقف التفخيم في درجته على طبيعة الصامت السابق للحركة بل يتأثر التفخيم في الحركات بطبيعة الصامت المجاور، وموقع هذا الصامت، فالحركات المسبوقة بصامت مفخم أعلى في تفخيمها من الحركات المتبوعة بمفخم، فالفتحة الطويلة في (طاب) أقوى في تفخيمها من الفتحة الطويلة في (باط)، والحركة المسبوقة والمتبوعة بمفخم أعلى في تفخيمها من الحركة المسبوقة أو المتبوعة بمفخم، فتفخيم الفتحة الطويلة في (طاقة)، والكسرة الطويلة في (قضيض)، والضمة الطويلة في (يروق) أقوى من تفخيم هذه الحركات حالة كونها مسبوقة أو متبوعة بمفخم

وإذا كان التفخيم في الحركات يختلف تبعاً لطبيعة الصامت المجاور، وموضع الصامت من الحركة، أو مكان مجاورته لها فإن التفخيم يختلف في الحركات بحسب طبيعة الحركة نفسها، فهو متفاوت من حركة إلى أخرى.

وذلك بسبب بعض العوامل التي تكتنف الحركات أو الصوامت المجاورة

لقد أشار العلماء إلى ملمح التفخيم، وقد تركزت إشاراتهم على تفخيم الفتحة، وذلك واضح من خلال أمثلة المحدثين، فقد غلب عليها الإشارة إلى

---

(1) علم اللغة العام (الأصوات)، ١٤٨

تفخيم الفتحة، والسبب في علة الحديث عن تفخيم الفتحة على الحديث عن تفخيم الحركتين الأخريين يعود في بعده العميق إلى أن نسبة التفخيم في الفتحة أقوى منها في الضمة والكسرة، فالفتحة حركة وسطية، فإن سفلها أو علوها مفخم فهي أقرب إلى التفخيم، ومما يساعد على ظهور التفخيم فيها عدم وجود العوامل الأماميـة في إنتاجها؛ فالضمة خلفية من حيث موقع اللسان عند إنتاجها، ويشارك هذا الوضع في إنتاجها عامل التدوير في الشفتين، وهذا يؤثر على نسبة التفخيم، فيجعله أقل منه في الفتحة ولكن نسبة التفخيم في الضمة لا تزيد على نسبته في الضمة بشكل مطرد، بل هو أعلى في الفتحة منه في الضمة في معظمه لا في مجمله، فالضمة في (يسقط) لا يقل تفخيمها عن تفخيم الفتحة بأي حال من حالات تفخيم الفتحة، ومهما يكن من تفاوت فإن نسبة التفخيم تأتي بالدرجة الأولى- من حيث القوة- في حركة الفتح يليها حركة الضم أما التفخيم في حركة الكسرة فإنه ينحو منحى خاصاً يختلف عن نحوه في الحركتين الأخريين؛ فالكسرة أقل استجابة للمماثلة في التفخيم بالنسبة لاستجابة الحركات الأخرى لهذا الملمح، وإضافة إلى قوة التفخيم في الفتحة فإن شيوعها ظاهر في بناء العربية إذا ما قيس بالحركات الأخرى.

إن الأصوات المفخمة هي أكثر الأصوات تأثيراً في الحركات من حيث المماثلـة في التفخيم، ومع وضوح هذه القوة إلا أن أثر الأصوات المفخمة على الكسرة من حيث التفخيم يقل بنسبة واضحة قياساً مع أثره في الفتحة والضمة، فالتفخيم في الفتحة الطويلة في (قاضي)، و(ضاق) أظهر وأقوى منه في الكسرة الطويلـة في (نقيض)، وكذلك تفخيم الضمة الطويلة في (سقوط) أقوى منه في الكسرة الطويلة في (مضيق)، ومما يساعد على قلة التفخيم في الكسرة نسبة إلى الحركتين الأخريين قوة الكسرة، وجذبها للأصوات المفخمة في نقل مخرجها نقلاً جزئيـاً؛ فالأصوات المفخمة المتبوعة أو المسبوقة بالكسرة تميل في مخارجها إلى

الأمامية، أي أن موضع اللسان عند إنتاج الأصوات المفخمة المجاورة لحركة الكسرة يتقدم للأمام بعض الشيء، ولكنه يبقى ضمن إطار مخرجه، ومن هنا فإن الكسرة تتأثر بالأصوات المفخمة المجاورة، وتؤثر في هذه الأصوات أيضاً، ثم فإن ظهور نسبة التفخيم فيها تقل عن نسبته في الحركات الأخرى ومما سبق يتضح أن المماثلة في التفخيم تتدرج في الحركات من الأعلى إلى الأقل علواً على النحو التالي

الفتحة ثم الضمة ثم الكسرة، ويتدرج تأثر الحركات بالأصوات المفخمة على النحو التالي:

١. يظهر تفخيم الحركات في الدرجة الأولى من حيث القوة عندما تقع بين صوتين مفخمين أحدهما من الأصوات المطبقة مثل: صاق، طور، مضيق

٢. يظهر تفخيم الحركات في الدرجة الثانية عندما تقع بين مفخمين ليس فيهما مطبق مثل: خار، بحور، بخير، ويتدرج التسرب في قوة التفخيم من الفتحة إلى الضمة إلى الكسرة.

٣. يظهر تفخيم الحركات في الدرجة الثالثة عندما تقع بين الأصوات المرققة التي لا تدخل إطار الأصوات المفخمة مثل: سد، يسود، مريد وهذه الحالة تمثل الوضع الأكثر شيوعاً في الحركات وهي حالة الترقيق

ويتبين أن التفخيم يعتري الحركات الثلاث: الفتحة، والضمة، والكسرة من خلال ظاهرة المماثلة، ولكن هذا التفخيم نسبي في قوته، ومتفاوت من حركة إلى أخرى، وليس الأمر على ما ذكره عبد الصبور شاهين بأنّ التفخيم الموسيقي يقع في الفتحة فقط دون الحركتين الأخريين

"فـــصحى نفرق بين حركات العربية من حيث التفخيم والترقيق، ونرى أن للتفخـــيم أثـــراً في اختلاف المعنى حيث يكون في الفتحة لا في الكسرة أو الضمة، إذ الواقع أن الصوامت السابقة على الحركة لا يظهر أثرها التفخيمي إلا في الفتحة، ومن ثم فالتنوع متحقق فيها، دون أختيها على مستوى نطق العربية الفصـــحى . ويصـــعب من الناحية النطقية أن تحل الفتحة المرققة محل الفتحة المفخمة، والعكس

ففي المعنيين (طاب- تاب) تعتبر الفتحة بطابعها شرطاً في دلالة الكلمة على معناها، أي أن الاختلاف بين الكلمتين في حرفين لا في حرف واحد. وقد نرى هذا الفرق على العامية القاهرية في مثل نطق كلمة (رائد) بالفتحة الطويلة مـــرققة مـــرة، ومفخمـــة مرة أخرى، فالترقيق يعني النوم، والتفخيم يعني رتبة عســـكرية، وعلى ذلك نرى أن في العربية الفصحى فعلاً أربع حركات قصاراً، ومثلها طوالاً، وان التعدد لا يوجد كوحدة أصواتية إلا في الفتحة"[1].

ولا اتفق مع هذا الرأي لأسباب عدة

التفخيم يعتري الحركات الثلاث بنسب مختلفة، والتفخم لا تمثل مفخماً فونيماً فيؤدي إلى عد الفتحة المفخمة حركة رابعة، وقد سبق نقاش هذه النقطة في الفصـــل الأول عـــند الحديـــث عن عدد الحركات. أما بالنسبة للأمثلة التي طـــرحها، فتفخـــيم الفتحة في (طاب) ليس أصلاً فيها بل اكتسبته من صوت (الطـــاء) الســـابق، والفونيم الذي أدى إلى تغير المعنى بين (طاب) و(تاب) هو الفرق بين صوتي (الطاء والتاء)، اما بالنسبة لكلمة (رائد) فقد اتخذ من اللهجة المصـــرية قياســـاً لـــه، وهذا ما أوهمه، فالأولى أن يكون القياس على الفصيحة المشـــتركة لا على اللهجة المصرية، فكلمة (رائد) بمعنى النوم تمثل صورة أخرى

---

(1) علم الأصوات، ٨٧

بكلمة (راقد) من (رقد) فنطق صوت (الهمزة) بدلاً من صوت (القاف)، ومن هنا فإن الفرق في المعنى لم يأتِ بسبب تفخيم الألف بل بسبب العرق الأصلي في بنية الكلمة، والتحول الذي طرأ على ذلك الأصل، فالفرق يقاس بين (رائد)، و(راقد).

وإضافة إلى ما سبق فإن الألف في (رائد) بمعنى النوم لم نرقق ترقيقاً عارضاً بل هي مرققة أصلاً، وقد كان ترقيقها بسبب ترقيق الراء وهذا صوت من الأصوات التي تقع مفخمة، وهو صوت يرقق في الفصحى عندما يكون متبوعاً بحركة الكسرة، وهذا نمط من مماثلة الصوامت للحركات، ويضاف إلى ذلك أن آراء العلماء أجمعت على أن الحركات هي. الفتحة، والضمة، والكسرة، إضافة إلى ملمح الكمية الذي يمثل ملمحاً فونيمياً.

ب- المماثلة بين الحركات والصوامت في الموقع والمخرج:

أردت من ذكر الموقع والمخرج التنبيه إلى أن المخرج يرتبط بالصوامت، لأنها تحدد بمخرج محدد يتم فيه اعتراض تيار الهواء اللازم لإنتاج الصوت، أما الموقع فهو موقع اللسان، أو بعض أجزائه عندما يأخذ موقعاً مناسباً لتضييق مجرى الهواء ليتم بذلك إعطاء الصوت ما يميزه عن غيره، لأن تمايز الحركات يتم من خلال الشكل، والوضع الذي يتخذه اللسان تبعاً للموقع الذي يستقر فيه ليعطي ما يميز كل حركة عن الأخرى من حيث الجرس الصوتي، والحركة لا توصف بمخرج محدد كما تبين في الفصل الأول من هذه الدراسة التي استعرضت آراء العلماء، وقد نص السيوطي على ذلك بقوله "والحركة لا تختص بمخرج"[1].

---

(1) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٦٢/١
وانظر السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال)، الأشباه والنظائر في النحو ٢٨/٢ تحقيق عبد العال سالم مكرم، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م

تتم المماثلة في الموقع* والمخرج بين الحركات والصوامت؛ وذلك بأن ينحو اللسان في موقعه عند إنتاج الحركة إلى مخرج إنتاج الصامت المجاور المؤثر وفي هذا الوضع تكون الحركة قد ماثلت الصامت، وقد ينحو الصوت الصامت في مخرجه إلى موقع إنتاج الكسرة المجاوره، وفي هذا الوضع يكون الصامت قد ماثل الحركة، فالحركة هنا مؤثرة، والصامت متأثر

ومن أمثلة تأثر الصامت بحركة في الموقع أن اللسان عند إنتاجه للأصوات المفخمة المتبوعة بحركة الكسرة لا يثبت في موقعه الطبيعي عند إنتاج هذه الأصوات، بل يتقدم للأمام بعض الشيء، وذلك مماثلة للكسرة في الموقع، ولو تدبرنا مخرج صوت الطاء في كلمة (طين) لوجدنا أن اللسان يتقدم بعض الشيء عن المخرج المألوف لصوت (الطاء) حالة إنتاجه غير محرك، ولو تأملنا مخرج إنتاج صوت (القاف) مفرداً أو متبوعاً بضمة أو كسرة وقارنا هذا المخرج مع مخرجه عن إنتاجه متبوعاً بحركة الكسرة في مثل: (قيس) لوجدنا أن مخرجه في كلمة (قيس) يتقدم للأمام ليقارب مخرج صوت (الكاف)، ومن الأمثلة على ذلك ترقيق صوت (الراء)؛ فهو صوت وسطي التفخيم، وعندما تتبعه حركة الكسرة فإنه يرقق، ومن أمثلته: (إبريق) و(عريق) و(طريق)

ويظهر من الأمثلة أن الصامت يماثل الكسرة في الموقع عندما تكون الكسرة تابعة له وهو سابق لها، أما عندما تكون الكسرة قبل هذه الصوامت فإن أثرها على هذه الصوامت غير واضح، بل العكس تماماً فإن الحركة تماثل الصامت كما في الكسرة الطويلة في (مريض)

---

* الموقع هو المنطقة التي يتم فيها تعديل وتضييق المسافة بين اللسان وبعض أجزاء الحنك العلوي، أما المخرج فهو المنطقة التي يتم فيها اعتراض مجرى الهواء بشكل كلي أو جزئي وذلك تبعاً لطبيعة الصوت المنتج

وإذا كان الصامت يماثل الحركة تتقدم مخرجه للأمام عندما يكون متبوعاً بحركة الكسرة، فإن الصوامت الأمامية أيضاً تماثل الحركة الأخرى بأن يتراجع اللسان بعض الشيء عند إنتاجه للصامت المتبوع بالضمة، فمخرج (السين) في (سر) يتأخر عن مخرجه في (سر)، ويتأخر أكثر في ذلك عنه في (سراط).

وقد أشار فوزي الشايب إلى هذا النمط من المماثلة؛ إذ يرى أن مخرج الصامت يتقدم أو يتأخر تبعاً لنوع الحركة التابعة له؛ فالسين في (سر) أكثر أمامية منها في (سر)، وكلتاهما أكثر أمامية من السين في (سم)، وهذا أثر على المخرج أو مماثلة جزئية في المخرج"[1]

ويشير محمد الخولي إلى مماثلة الصامت للحركة في التدوير " يتعدل صوت غير مدور ليماثل آخر مدور في سمة التدوير ومثل ذلك كلمة (قل) حيث اكتسبت ق سمة التدوير أو الشفه لتماثل الضمة القصيرة المدورة"[2].

ولا أجد تدويراً يذكر في صوت (القاف) مماثلة للضمة، فهذه الكلمة تتكون من مقطع واحد، وقصر الضمة الطويلة يؤدي إلى سرعة نطقها وقلة كميتها، وهذه السرعة تؤثر على الأصوات المجاورة، وهذه العوامل مجتمعة قد توهم السامع باكتساب الأصوات الملامح بعضها، أما المماثلة في هذه الكلمة فقد جاءت في مماثلة الضمة لصوت (القاف) من حيث الموقع؛ حيث تراجع اللسان عند نطقه للضمة أكثر من موقعه في نطقه في الأصوات الأمامية والوسطى

---

(١) انظر أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية (رسالة دكتوراه)، ٢٦٥

(٢) الأصوات اللغوية، ٢٢١

ومن أمثلة مماثلة الحركة للصامت تراجع موقع اللسان عند إنتاج الكسرة عندما تأتي مسبوقة بالصوامت المفخمة وخاصة المطبقة منها كما في كسرة (محيط) و(مريض)، وكذلك تقدم موقع اللسان عند إنتاجه للضمة المسبوقة بالأصوات المرققة، والشفوية، والشفوية الأسنانية، فاللسان يتقدم في موقعه عند إنتاج الضمة في (يسوم)، و(يرور)، و(كانون) ويحدث بعكس موقعه عند إنتاج الضمة في (سوق) وهذه التغيرات البسيطة في موقع اللسان عند إنتاجه للحركات دفعت بعض الباحثين للاحتجاج على دانيال جونز في تحديد موقع اللسان عند إنتاج الحركات، فأخذوا عليه عدم تحديد نقطة ارتفاع اللسان وتراجعه وتقدمه تحديداً دقيقاً، وهو اعتراض ليس له ما يبرره؛ لأن تحديد جونز أخذ بالتقدير والاختلافات الناتجة عن العوامل المؤثرة، كتأثر الأصوات المجاورة، والفرق من شخص لآخر في نطقه، إضافة إلى أن ما أراده جونز في تحديده هو منطقة تشمل هذه التغيرات البسيطة، ولم يرد نقطة لا خروج عنها

ويرى فوزي الشايب أن الأصوات الشفوية، والشفوية الأسنانية تؤثر الضمة على غيرها من الحركات لعلة المماثلة "أما الأصوات الشفوية كالميم والباء، والأصوات الشفوية الأسنانية كالفاء التي يصاحبها ضم للشفتين أو شبه ضم فإنهما يؤثران صوت الضمة /u/ على غيرها"[1]

وأحسب أن هذا الرأي مرجوح، فلا تملك إحصائية تؤكد ارتباط الضمة بالأصوات الشفوية، والشفوية الأسنانية، ولا يوجد سبب أي دليل نطقي يؤكد جمعه هذا الطرح، ويبقى هذا الطرح في إطار الترجيح، ولا يستعده إلى الجزم ومع تقديري لرأي فوزي الشايب إلا أن رأيه هذا لا ينسجم مع طروحاته في الدرس اللغوي

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، (رسالة دكتوراه)، ٢٨٥

ويبقى أن أقول: إن طبيعة المماثلة في التفخيم، وفي الموقع والمخرج بين الحركات والصوامت مماثلة جزئية، أي أن الصوت يكتسب بعض ملامح الصوت الآخر ولكنه لا يحول بيماثل الصوت المجاور تمام المماثلة

وقد أشار الهود إلى ذلك. "لا تجانس بين العلل والسواكن، حتى لو وجد الحد في مكان النطق وفي مقدار الجهد"(١)

والمراد بعدم التجانس أي عدم التماثل الكلي بينهما، إذ المماثلة الكلية مماثلة صوت لصوت آخر في ملامحه كاملة، وهذا لا يتم بين الحركات والصوامت

ويشير أحمد مختار إلى أن تأثير العلة على الصامت أكثر شيوعاً من تأثير الصامت على العلة من حيث المماثلة "وقد تقع المماثلة بين العلل والسواكن، ولنوع الشائع منها هو تأثير العلة على الساكن"(٢)

وقد يعود هذا لكثرة عدد الصوامت مقارنة مع العلل، فكثرة الصوامت تؤدي إلى زيادة عدد التأثر مع عدم زيادة كيفيته، ولو أخذنا فرق بعدد بين الصوامت والعلل بالحسبان لوجدنا أن التأثر والتأثير يتساوي بينهما

ثانياً: المماثلة بين الحركات وأشباه الحركات:

إذا كانت المماثلة موجودة بين الحركات والصوامت فإن وجودها بين الحركات وأشباه الحركات أيسر منه مع الصوامت؛ فتقع المماثلة بين الحركات

---

(١) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، ص٤٩، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢م

(٢) دراسة الصوت اللغوي، ٣٢٧

وأشـــباه الحركات من خلال مماثلة الحركة بشبه الحركة، أو مماثلة شبه الحركة للحركة كما يبين في العرض التالي:

أ- مماثلة الحركات لأشباه الحركات.

يرى عبد الصبور شاهين أن الحركات الطويلة تسقط عند تصغير مثل غـــزال، وعجـــوز، ورغيف، إذ يقول "نرى أن المقطع الأخير لم يأخذ صورة المقطع الطويل الأخير في فعيعل (ص ح ص) فكان أن أسقطت الحركة الطويلة، وعوض موقعها بتضعيف ياء التصغير مع كسرها"[1] ولم يذكر شاهين ما يبرر سقوط الحركة الطويلة، والحقيقة أن الحركات هنا لم تسقط، والذي أرجحه في هذه الأمثلة وما شاكلها هو مماثلة الحركات الطويلة للياء /y/ شبه الحركة التي دخلـــت بـــناء الكـــلمة، وذلك بأن أصبح بناء الكلمات عند دخول الياء شبه الحركة على النحو التالي:

guzaya:l غزيال	←	gaza:l	غزال
ʕujayu.z عجيوز	←	ʕayu z	عجوز
rugayi:f رغييف	←	ragi·f	رغيف

وعـــند تقســـيم هذه الكلمات في وضعها الجديد إلى مقاطع، فإن المقطـــع الأخـــير يبدأ بحركة كما أشار عبد الصبور، والمقطع في العربية لا يبدأ بحركة، وقد نبه الفخر الرازي إلى ذلك "الحروف إما مصوتة، وهي التي تسمى في النحو حروف المد واللين، ولا يمكن الابتداء بها "[2]

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية، ١٥٥.

(٢) الفخـــر الرازي، التفسير الكبير، ١/ ٢٩، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

ولكن الحركات هنا لم تسقط بل ما تلتها شبه الحركة السابقة (الياء) بملتبه ياء شبه حركة، وفي هذه الحالة تتوالى أشباه الحركات المماثلة فتتحد لتشكل شبه حركة مضعفة، فيصبح بناؤها على النحو التالي:

غزال gaza:l ← غزيل guzayyil

عجوز ʕayu:z ← عجيز ʔujayyiz

رغيف ragi:f ← رغيف rugayyif

ومماثلة الحركات بالتحول إلى شبه حركة أولى من سقوطها و تعويض مكانها كما أشار عبد الصبور، ومبرر تحول الحركة متوفر، حيث تحولت إلى شبه حركة من جنس شبه الحركة المجاورة تبعاً لقانون المماثلة ويوضح هذه المماثلة المعدلات التالية

a ← y / y — تتحول الفتحة الطويلة إلى الياء شبه حركة مماثلة لشبه الحركة السابقة.

u ← y / y — تتحول الضمة الطويلة إلى الياء شبه الحركة مماثلة لشبه الحركة السابقة

i ← y / y - تتحول الكسرة الطويلة إلى الياء شبه الحركة مماثلة لشبه الحركة السابقة

وأرجح أن رأي الاسترابادي في تعليله هذه القصة يعزز ما أذهب إليه، فقد أشار إلى وجوب تحريك واو المد في تصغير عجوز، ووجوب التحريك يؤكد سببه لعدم جواز ابتداء المقطع بحركة، وفي ذلك يقول الاسترابادي في تصغير رسالة، وعجوز: "وإنما قلبت ياءين لأنهما إذن لابد من تحريكهما، فإذا

متحركة الواو وقبلها ياء ساكنة وجب قلبها ياء، وأما غير اللام فإن كانت ساكنة في المكبر فلابد من قلبها ياء، نحو عجير وجرير في عجور وجرور"[1]

ومن أمثلة مماثلة الحركة لشبه الحركة قلب حركة الضمة إلى كسرة عندما تكون مسبوقة بشبه الحركة (الياء)، وقد أشار الفراء إلى ذلك بقوله "عليهم، وعليهم وهما لغتان، لكل لغة مذهب في العربية؛ فأما من رفع الهاء فإنه يقول: أصلها رفع في نصبها وخفضها ورفعها. وأما من قال عليهم فإنه استثقل الضمة في الهاء وقبلها ياء ساكنة فقال: عليهم"[2]

ونلاحظ أن من ينطقها بالضم يحتج بأصلها، ويحسب الأثر الصوتي، ومن هنا فإن تحول الحركة من الضمة إلى الكسرة جاء مماثلة حركة الكسرة لشبه الحركة (الياء) التي هي من جنسها

عليهم ʔalayhum ← عليهم ʔalayhim

عليه ʔalayhu ← عليه ʔalayhi

u ← i / y ــــ تتحول الضمة إلى كسرة إذا كانت مسبوقة بشبه الحركة الياء التي هي من جنس الكسرة، وهي مماثلة غير مباشرة لوجود فاصل بين الحركات

وتقع مماثلة الحركة لشبه الحركة في اسم المفعول (مبيع)، فالأصل أن يأتي على مبيوع، والواو هنا ضمة طويلة (u:) جاءت مسبوقة بالياء شبه الحركة

---

(١) الأستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن)، شرح شافية ابن الحاجب، ١ /٢٢٧ ، ٢٣٠، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت

(٢) الفراء، معاني القرآن ١ /٥

فانقلبت الضمة إلى حركة تماثل شبه الحركة السابقة، فتحولت من ضمة طويلة إلى كسرة طويلة ليصبح بناء الكلمة على النحو التالي

مبيوع mabyu:ʔ ← mabyi:ʔ

u ← i / y — تتحول الضمة الطويلة إلى كسرة طويلة بتأثير شبه الحركة المجانسة (الياء)

ونلاحظ أن الكلمة على بنائها هذا تتكون من مقطعين أولهما طويل مغلق، وثانيهما مديد ؟ /mab /yi ثم تنتقل الكلمة في بنائها إلى مرحلة جديدة وذلك بسقوط شبه الحركة ليصبح البناء مبيع ma/bi:ʔ، وهذه الصيغة تتكون الكلمة من مقطعين ؟ ma/bi الأول قصير مفتوح، والثاني مديد بدلاً من الأصل المتكون من مقطعين طويل مغلق /mab/ ومديد yūʔ.

مما سبق يتبين أن الحركة تماثل شبه الحركة، وهذا التماثل تتحول الحركة إلى شبه حركة، أو إلى حركة مماثلة لشبه الحركة المجاورة، ويغلب على هذه المماثلة أن يؤثر الصوت السابق في الصوت اللاحق، ونسمي هذه المماثلة التقدمية أو الأمامية حيث يؤثر الصوت الأول في الصوت اللاحق[1]

ويرى الطيب البكوش أن الضمة الطويلة في (مبيوع) تدغم في (الياء) شبه الحركة "تدغم الياء في حركتها إذ سقطت بحرف ساكن"[2].

ولا وجود للإدغام هنا بل هو تحول للمماثلة، وهل يقع الإدغام في الحركات وأشباه الحركات؟!

---

(١) انظر رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، (مظاهره وعلله وقوانينه)، ص٢٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت

(٢) الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص١٤٥، ١٥٤، ط٢، المطبعة العربية، تونس، ١٩٨٧م

ب- مماثلة أشباه الحركات للحركات:

تلتقي الحركات وأشباه الحركات في شيء من مسلكها الصوتي، وذلك من خلال صفة المخرج، والموقع لهذه الأصوات، ويؤدي هذا الالتقاء إلى تشابهها في التغيرات الصوتية التي تعتريها كالانقلاب والسقوط

ومن المتغيرات الصوتية التي تعتري هذه الأصوات.

تماثل أشباه الحركات للحركات؛ حيث تنقلب شبه الحركة إلى حركة مجانسة للحركة المجاورة، ومن أمثلة هذه المماثلة تحول (الياء) y شبه حركة إلى ضمة مماثلة لحركة الضمة التي سبقت شبه الحركة

وقد أشار ابن جني إلى هذا ولكن تعليله لا يتفق مع قانون المماثلة، ففي حديثه عن إبدال الواو من الياء يقول "هذه الياء التي أبدلت فيها الواو على ثلاثة أضرب: أصل، وبدل، وزائدة. فالأصل قولك من أيقن وأيسر موقن وموسر ... وإنما قلبت الياء الساكنة واواً للضمة قبلها، من قبل أن الياء والواو أختان"(1)

ويفهم من كلام ابن جني أن (الياء) شبه الحركة تحولت إلى الواو شبه حركة لا إلى الضمة، فهو يقول (الياء والواو أختان)، والحقيقة أن الياء في هذه الأمثلة شبه حركة / y / والواو هنا ضمة /u/، وهذان الصوتان على درجة من التنافر، والدليل على ذلك تحول هذه (الياء) إلى ضمة لعدم استقرارها الصوتي بسبب مجاورتها للضمة السابقة، وذلك على النحو التالي

أيقن ← ميقن muyqin تحولت إلى موقن mu:qin

أيسر ← ميسر muysir تحولت إلى موسر mu:sir

---

(1) سر صناعة الإعراب ٢ /٥٨٤

u + u ← u وتتابع الحركات القصيرة المتماثلة يشكل حركة طويلة من جنس تلك الحركات المتتابعة، وهي مماثلة أمامية؛ حيث أثر الصوت السابق على الصوت اللاحق.

وهذه الطريقة تمثل تحول (الياء y) شبه الحركة إلى ضمة مباشرة، وقد تتحول (الياء y) شبه الحركة في الأمثلة السابقة إلى ضمة بطريقة غير مباشرة؛ وذلك بقلب (الياء y) شبه الحركة (واواً w) شبه حركة.

ميقن muyqin ← موقن muwqin ثم تنقلب (الواو w) شبه الحركة ضمة مماثلة للضمة السابقة فيتشكل البناء النهائي موقن mu:qin، وموسر mu:sir

وتتحول شبه حركة إلى حركة للمماثلة في يبيع yabyiʔ، (فالياء y) شبه حركة في هذه الكلمة متبوعة بحركة الكسرة، فتتحول شبه الحركة إلى حركة الكسرة تبعاً لقانون المماثلة، وهذا النمط من المماثلة أيسر من غيره لوجود التجانس بين شبه الحركة والحركة المجاورة المؤثرة، فالكسرة والياء شبه الحركة من جنس واحد، وتتم المماثلة على النحو التالي:

ييبع yab/yiʔ ← يبيع ya/ bi:ʔ تحولت (الياء y) شبه الحركة إلى كسرة مماثلة للكسرة اللاحقة.

y ← i / — i

i + i ← i:

تتوالى الحركات القصيرة فتشكل حركة طويلة من جنسها، وهذا النمط من المماثلة يسمى المماثلة الخلفية؛ أي أن الصوت اللاحق أثر في الصوت السابق فأدى إلى مماثلته، وهي مماثلة مباشرة، أي لم يفصل بين الأصوات المتماثلة أي صوت.

ومـــن أمثلة مماثلة شبه الحركة للحركة قلب الواو شبه الحركة /w/ إلى

كســـرة في مـــثل: ميعاد، وميزان؛ فالأصل في هذه الكلمات أن تأتي على بناء

موعـــاد، ومـــوزان، فتحولت الواو شبه الحركة /w/ إلى كسرة مماثلة للكسرة

السابقة، وبذلك اجتمع كسرتان قصيرتان فتشكلت حركة الكسرة الطويلة.

موعاد miwʕa:d ← ميعاد mi:ʕa:d

موزان miwza:n ← ميزان mi:za:n

w ← i / i — تتحول الـــواو شبه الحركة إلى كسرة عندما تكون

مسبوقة بكسرة.

i + i ← i: تـــتوالى الحـــركات المـــتماثلة فتشكل حركة طويلة من

جنســـها، وهذه مماثلة أمامية مباشرة؛ أثر السابق في اللاحق، ولا يوجد فاصل

بين الأصوات المتماثلة.

وقـــد تمر الكلمة بمرحلة أخرى قبل الوصول إلى بنيتها النهائية؛ حيث

تقلب الواو شبه الحركة / w / ياء / y / شبه الحركة ثم تقلب الياء شبه الحركة

كسرة:

w ← y / i — تـــتحول (الواو w) شبه الحركة إلى (الياء y) شبه

الحركة عندما تكون مسبوقة بكسرة.

y ← i / i — تتحول (الياء y) شبه الحركة إلى كسرة عندما تكون

مسبوقة بكسرة.

i + i ← ī ← mi:ʕa:d وmi:za:n وتمـــاثل الـــواو شبه الحركة

الضمة مماثلة للضمة اللاحقة لها:

يقوم yaqwum ← يقوم yaqu:m

w ← u / —— u تتحول الواو شبه الحركة إلى ضمة مماثلة للضمة اللاحقة

u + u ← u. وبتوالي حركات الضم القصيرة تتشكل حركة الضمة الطويلة، وهي مماثلة جزئية مباشرة؛ حيث أثر الصوت اللاحق في السابق ولا يوجد بينهما صوت فاصل.

ويرى عبد الصبور شاهين أن الواو شبه الحركة /W/ في هذا المثال تسقط ولا تقلب إلى ضمة، وبسقوطها تمد الضمة الموجودة أصلاً لتصبح ضمة طويلة[1]. وأحسب أن قلب شبه الحركة إلى ضمة أولى من سقوطها، لوجود التناسب الصوتي بين هذين الصوتين؛ فهما على درجة من التجانس.

ثالثاً: مماثلة الحركات للحركات:

أشار القدماء إلى مواطن وجود ظاهرة المماثلة - مماثلة الحركة للحركة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في بداية الحديث عن المماثلة؛ حيث أشاروا إلى كسر (هاء) الغائب إذا سبقها (ياء) ساكنة أو كسرة، إضافة إلى وجود هذه الظاهرة في لغات العرب المختلفة، وبعض القراءات القرآنية[2] ويقول الغلاييني في ذكره لأنواع الإتباع في مقدمته: "إتباع بالحركة كما في (رئير، ومحرر، ونصب في نصب)[3]"، وهو في هذه الأمثلة يشير إلى مماثلة الحركة للحركة.

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية، ١٩٨

(٢) انظر الخصائص، ٢ /٣٣٣-٣٣٧

(٣) عبد الله الغلاييني، مقدمة لدروس لغة العرب، ص٢١٩، المطبعة العصرية بمصر، د.ت. وانظر الفارسي (أبو علي الحسن بن أحمد)، الحجة في علل القراءات السبع ١/ ٧٠، ٨٣، ٨٤، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣

وتماثل الحركة الحركة في. (مذ)، فقد ورد عن الفراء أن (مذ) مركبة من (من ودو)[1].

وقد أشار رمضان عبد التواب إلى نطقها مكسورة الميم عند بني سليم، مما يدل على أنها مركبة من: (من ودو)، فيقول "وقد حكي عن بني سليم ما رأيته مذ سبت بكسر الميم، وهذا كله يدل على أن أصل (مذ) العربية (من + دو) فعقب كسرة الميم ضمة، تأثراً بضمة الدال بعدها"[2]، أي أن الكسرة قلبت ضمة مماثلة للضمة اللاحقة، وهي مماثلة خلفية غير مباشرة، حيث يفصل بين الصوتين المتماثلين صوتا (النون والدال)، ويلاحظ أن الضمة الطويلة في البناء الجديد. (مذو) قصرت، وهو حذف جزئي للحركة، وعلة التقصير تكمن في كون طول الحركة في هذا البناء لا يمثل مورفيماً معيناً، إضافة إلى ميل العربية للمقطع القصير، وبقاء الضمة طويلة يشكل مقطعاً طويلاً مفتوحاً (ص ح ح) إذا تبعها متحرك، ويشكل بقاؤها مقطعاً مديداً مقفلاً (ص ح ح ص) إذا وليها ساكن، والعربية تتحاشى هذا النمط المقطعي.

وتماثل الحركةُ الحركةَ في مثل: (قُيِل)؛ حيث تقلب الضمة كسرة مماثلة للكسرة اللاحقة، ولا نستطيع القول إنها قلبت مماثلة للواو شبه الحركة /w/ فالتنافر بين الكسرة والواو واضح في بناء العربية، ومن هنا فإن قلب الضمة جاء مماثلة الكسرة ضمن المعادلة الثانية

u ← i / — i تتحول الضمة إلى كسرة عندما تكون متبوعة بكسرة وهي مماثلة غير مباشرة-.

---

(1) نظر الإنصاف، 1 /382، وانظر شرح المفصل 4 /95.

(2) التطور اللغوي (مظاهره وعلله وقوانينه)، ص33

وبعد هذا التحول تقع الواو شبه الحركة بين كسرتين qiwila، ومعلوم أن شبه الحركة عند وقوعها بين حركتين متماثلتين فإنها تضعف، ويؤدي ذلك إلى سقوطها، وبسقوط شبه الحركة تشكلت الكسرة الطويلة؛ فتشكلت بنية جديدة (قيل)، qi:la.

وأحسب أن عدم ظهور حركة الإعراب على الفعل المسمى (معتل الآخر) ناتج عن مماثلة الحركات، فالأصل أن يقال: يرمي: yarmiyu، ويغزو yag:zuwu، ففي الأولى قلبت الضمة كسرة مماثلة للكسرة السابقة، فوقعت (الياء y) شبه الحركة بين كسرتين، وفي هذه الحالة تسقط شبه الحركة لضعفها، وتجنباً لتوالي المتماثلات.

أما (يغزو) فقد وقعت (الواو w) شبه الحركة بين ضمتين فسقطت لضعفها، وتجنباً لتوالي المتماثلات، ومن هنا فإن أواخر هذه الأفعال أخذت حركة إعرابية ولكنها تحولت لعلة صوتية.

وتماثل الحركة الحركة في مثل: (طول، وهيب)، وذلك بقلب الضمة فتحة في الأولى، وقلب الكسرة فتحة في الثانية، وبذلك يصبح بناء الكلمات على النحو التالي: (طول، هيب) وفي هذه الحالة تقع أشباه الحركات بين حركات متماثلة، مما يؤدي إلى سقوطها، فتلتقي الحركات القصيرة المتماثلة لتشكل حركات طويلة:

طول ← طَوَلَ ← طال.

هيب ← هَيَبَ ← هاب.

ṭa:la ← ṭawala ← ṭawula
ha:ba ← hayaba ← hayiba

a / a ← u ____

w ← Ø / a ___ a تسقط الواو شبه الحركة عندما تقع بين حركتين متماثلتين

a / a ← i ____

y ← Ø / a ___ a تسقط الياء شبه الحركة عندما تقع بين حركتين متماثلتين.

مما سبق يتبين أن قانون المماثلة قانون فاعل في بناء الكلمة العربية، وملامحه واضحة، وخاصة في أبواب الصرف العربي، وقد دهش العلايلي لهذا القانون، إذ يقول "لست أعلم قانوناً كان أكثر عملاً في اللغة من قانون الإتباع، حتى كان في آخره طابعاً لغوياً ظهر أثره في الأصول والزوائد والكلمات"(١)

---

(١) مقدمة لدرس لغة العرب، ص ٢١٧

القسم الثاني

حركات اللغة العربية وقانون المخالفة

المخالفة عكس المماثلة، لأنها "تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين"[1]. ويرى العلماء أن المماثلة تؤدي إلى تقليل الخلافات بين الفونيمات وهذا يؤدي إلى تقليل الفونيمات، ومن هنا فإن ظاهرة المماثلة ظاهرة سالبة في حياة اللغة "ويحتجون أنه لو ترك العنان للمماثلة لتعمل بحرية فربما انتهت إلى إلغاء التفريق بين الفونيمات، ذلك التفريق الذي لا غنى عنه للتفاهم"[2]

ومما يلاحظ من التغيرات الناتجة عن المماثلة أنها لا تؤدي بمجملها إلى تقارب في الفونيمات، مع تغير في البنية يتبعه تغير في المعنى، وهذا واضح في مماثلة الحركات وأشباه الحركات، فالأبنية الصرفية تتشكل وتتغير في معظمها من خلال المماثلة في الحركات وأشباه الحركات، ومن خلال المخالفة أيضاً

إنّ المخالفة أكثر فاعلية في التفريق بين المعاني، ولكن هذا لا يعني أن نلغي فعالية المماثلة في التفريق بين المعاني

لقد أشرت سابقاً إلى تنبه القدماء لظاهرة المماثلة، وقد تنبه القدماء أيضاً لظاهرة المخالفة كما ورد عند سيبويه في حديثه عن إبدال الياء مكان اللام لكراهية التضعيف[3]. وقد كانت إشارات القدماء للمخالفة مجملة وليست تفصيلية، وكان التعليل لتحول الكلمات - في معظمه - يتركز فيه

(١) دراسة الصوت اللغوي، ص٣٢٩

(٢) المرجع نفسه، ٣٣٠

(٣) انظر الكتاب ٤ ٤٢٤

أمـــا المحدثون فقد عرضوا للمخالفة في الصوامت، والحركات، إلا أن إشاراتهم للمخالفة اتجهت في معظمها للصوامت، وكذلك الحال في الممثلة وسأحاول الإشارة إلى قانون المخالفة في الحركات، ومدى وجوده بين الحركات والصوامت، وذلك بالتطبيق على الأمثلة العربية

أ- المخالفة بسقوط الصامت وحلول الحركة.

تقـــع المخالفة من خلال سقوط الصامت وذلك عند توالي المتماثلات فهـــي مثل: (تمطط، وتردد، وتقصص) ورد في كل كلمة ثلاثة أصوات متماثلة، ومـــن خـــلال قانون المخالفة تم إسقاط المماثل الأخير، وبسقوط هذا الصوت الصـــامت نلاحـــظ أن الحـــركات القصير المتماثلة قد توالت، وفي هذه الحالة تتشكل الحركة الطويلة من جنس هذه الحركات، وذلك على النحو التالي

tamaṭṭa: تمطى ← tamaṭṭaṭa تمطط

tasarra. تسرى ← tasarrara تسرر

taqaḍḍa: تقصى ← taqaḍḍaḍa تقصص

ســـقط الصامت الثالث من المتماثلات تجنباً للتوالي، وبسقوطه التقت الحركات القصيرة المتماثلة فشكلت حركة طويلة

ويعلـــق غالب المطلبي على مثل هذه الحالة؛ فيرى أن صوت المد (أي الحـــركة الطويلة) عوملت في العربية معاملة الصامت فحلت محله، على العكس من صوت المد القصير[1]

وصوت المد لم يتبادل مع الصامت في هذه الأمثلة، لأن صوت المد في الأصـــل غـــير موجود، وإنما تشكل بعد سقوط الصامت، أي أن المخالفة تتم

---

(١) نظر في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية)، ص٢٨٤

بسقوط الصوت، وقد أشار فندريس إلى ذلك "كثيراً ما يحدث أن تكون نتيجة التخالف اختفاء الصوت لا أكثر، ولا أقل"(١) أي أن الحذف هنا بغير عوض.

ومما يؤدي إلى تشكل الحركة الطويلة بعد سقوط الصامت طبيعة المقطع في الكلمة التي وقعت فيها المخالفة، فلو حددت مقاطع كلمة: (تسرر) فإنها تكون على النحو التالي: (ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح) فجاء المقطعان الأخيران من النوع القصير المفتوح، وكلاهما يتشكل من صامتين متماثلين وحركتين متماثلتين؛ لذلك كان من السهل إسقاط الصامت الأخير، وبسقوطه تلتقت الحركة المتبقية من المقطع مع حركة المقطع السابق فتشكلت حركة طويلة، ومن هنا فإن مجيء صوت المد لم يكن بديلاً أو عوضاً من الصامت الذي أسقط، بل جاء صوت المد قسراً، هذا إضافة إلى أن صوت المد هذا يقصر عند دخول عامل الجزم، فلو كان أصلاً في بناء الكلمة أو بديلاً يحل محل الصامت الذي أسقط من حيث الأداء في الوزن لما جاز تقصيره، أو حذفه على حد زعم القدماء.

وأنبه إلى طبيعة المقاطع في هذه الكلمات، وأثر ذلك في مجيء الصوت البديل للصوت الذي يسقط للمخالفة، فعند دخول مورفيم التكلم (تاء المتكلم) على كلمتي (تسرر، وتقضض) فقد تغيرت مقاطعها على النحو التالي:

تسرر: (ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح) المقاطع قبل دخول مورفيم التكلم

تسررت (ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح) المقاطع بعد دخول مورفيم التكلم.

---

(١) فندريس، اللغة، ص٩٤، تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د ت.

تظنّنَ (ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح) المقاطع قبل دخول مورفيم المتكلم.

تظنّنت (ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح) المقاطع بعد دخول مورفيم المتكلم

نلاحظ هنا أن الصامت الأخير في الكلمتين يقع بين حركتين متماثلتين في الحالة الأولى للكلمات، وهي التي تشكل فيها المد، وفي الحالة الثانية يقع بين صامت وحركة، ولما كان لابد من سقوط هذا الصامت بفعل قانون المخالفة لعلة وجود المتماثلات فقد أصبح وضع الكلمات بعد سقوطه وقبل دخول الياء التي جاءت للعوض على النحو التالي

تظنَّتُ taḏannatu على وزن (تفعّتُ)، ويظهر هنا غياب اللام من وزن الفعل، ولإعادة الكلمة إلى وزنها الصحيح، وإزالة ما ظهر من اضطراب كان لابد من دخول الياء، فأصبحت الكلمة على البناء التالي تظنيت، ومثلها تسريت، وتوزن على (تفعلت)*، وبهذا فإن مجيء (الياء) يمثل بديلاً صوتياً سد أثره في الوزن وذلك بحلول الياء مكان الصوت المحذوف

---

* يقول الفارسي "وما حذف بالقلب نحو تظنيت وتقضيت" الحجة ١ ١٥٥ ويقول ابن جني "فأما قولهم تسريت فيكون من باب إبدال الياء من الراء وأصلها (تسررت)"، سر صناعة الإعراب، ٢ ٧٧٥ ويقول أيضاً "ومن ذلك قولهم تظنيت وإنما هي تفعلت من الظن، (تظننت) فقلبت النون الثالثة ياءً كراهة التضعيف"، سر صناعة الإعراب، ٢ ٧٧٥

وأرجح هنا قول ابن جني بأن الياء أبدلت من الراء في (تسررت)، ومن النون في (تظننت)، ولم تقلب كما ذهب الفارسي، إلا إذا فهم القلب عند الفارسي على سبيل الإبدال

ويلاحظ أن سيبويه قد جاء بالأمثلة في الصيغ التي يكون فيها الصامت المحذوف ساكناً، ودث بدخول مورفيم التكلم، وهذا يستدعي أن يكون البديل للصـامت المسـقط هو صوت الياء شبه الحركة، ولم يذكر أمثلة على البدل عندما يكون صوت مد كما يقول المطلبي.

أمـا علة مجيء الياء مكان الصامت الذي أسقط في مثل الأمثلة السابقة فهـي إبقاء المعنى الذي تتضمنه الكلمة قبل حذف الصامت، فلو أدخل صامت غـير الياء مكان الصامت المحذوف لأدى ذلك إلى تغير المعنى، ولو جيء بالواو شـبه الحركة لكانت أثقل في أدائها الصوتي من أداء الكلمة بوجود الياء، ولعل إحساس العرب بخفة الياء إذا ما قيست بالواو كان الدافع لاستعمالها، ولهذا فقد كانت الياء شبه الحركة هي الصوت الذي يتحاشى المتصلين.

ب- المخالفة بين الحركات فيما بينها:

لقـد أشـرت سابقاً إلى ما سماه العلماء المخالفة بين الصامت وصوت المد، واتجهت في رأيي إلى عدم تسمية هذا النمط بالمخالفة للأسباب التي ذكرت وخاصة التباين في الملامح وعدم الالتقاء بين الحركات والصوامت، أما المخالفة بين الحركات فيما بينها فإنها تمثل دوراً هاماً في مواضع عدة، وهي واضحة جلية لدرجة انعدام وجود أي مبرر للتغير الصوتي إلا من خلال المخالفة.

وقـد جاءت المخالفة بين الحركات في مواضع منها: علامة النصب في جمـع المؤنـث السالم، فالحركة الأصلية للمنصوب هي حركة الفتحة (a)، أما جمع المؤنث السالم فإن حركة النصب فيه الكسرة، وقد تحولت الفتحة المفترضة أصلاً إلى كسرة لوجود فتحة طويلة قبلها طبقاً لقانون المخالفة: a←a./i_____.

تتحول الفتحة علامة النصب في جمع المؤنث السالم إلى كسرة مخالفة للفتحة الطويلة التي تسبقها، إذ المسلمات muslima ti، وهي مخالفة غير مباشرة لوجود فاصل بين الحركتين، وهو صوت (التاء t)

وإضافة إلى علة المخالفة فقد يكون التحول من الفتح إلى الكسر ناجماً عن ميل العربية إلى كسر المؤنث لتميزه عن المذكر، فقد أشار إسماعيل عمايرة إلى هذه السمة بقوله "انصرفت اللغات السامية إلى الكسر بوصفه وسيلة أخرى معتادة في التمييز بين المذكر والمؤنث"[1]

ويطرد هذا القانون بتحول الفتحة إلى كسرة في نون المثنى في حالة الرفع، وذلك بتحول فتحة النون إلى كسرة مخالفة للفتحة الطويلة السابقة كما في:

مسلمان muslima'ni

وقد أشار هنري فليش إلى هذه الظاهرة إذ يقول: " حدوث المخالفة بإبدال الفتحة القصيرة (a) كسرة قصيرة (i) عند مجاورتها لفتحة طويلة وهذا يفسر من بين ما يفسره قصر إعراب جمع المؤنث السالم على صورتي الرفع والجر، فمثال: فاعلاتٌ، وفاعلاتٍ دون أن يقال: (فاعلاتَ) في حالة النصب، بل هي أيضاً (فاعلاتٍ)، وكذلك الحال في لاحقة المثنى حيث كسرت النون"[2].

---

(١) إسماعيل عمايرة، ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، ص١٠٥، ط٢، دار حنين، الأردن، ١٩٩٣

(٢) هنري فليش، العربية الفصحى (نحو بناء لغوي جديد)، ص٤٨، تعريب عبد الصبور شاهين، ط٢، دار المشرق، بيروت، د ت

وأنبه هنا إلى أن المجاورة بين حركتي الفتح ليست مباشرة كما ورد في الاقتباس السابق، بل يوجد فاصل بينهما، ولذلك تسمى مخالفة غير مباشرة.

ويقع المخالفة بين الحركات في حركة النون في جمع المذكر السالم؛ وذلك بثبوت هذه الحركة وهي الفتحة (a) للمخالفة[1]. فجمع المذكر السالم يتضمن حركة الضمة الطويلة في حالة الرفع، وحركة الكسرة الطويلة في حالتي النصب و الجر. وهذه الحركات تمثل مورفيم الجمع، فهي حركات طويلة أصلية في كمها، وغير ناتجة عن إشباع حركة قصيرة، ولكون الفتحة (حركة النون) تخالف هاتين الحركتين فإنها بقيت ثابتة، و لم تتحول إلى كسرة كما في حالة المثنى

ففي حالة الرفع مسلمون muslimu.na

وفي حالتي الجر والنصب مسلمين muslimi·na

تثبت الفتحة حركة النون في جمع المذكر السالم، ولا تتحول إلى كسرة، وذلك لمخالفة حركتي الضمة، والكسرة الطويلتين

وفي الأفعال الخمسة تتغير حركة النون تبعاً لقانون المخالفة، فتثبت فتحة مسبوقة بضمة طويلة في مواطن، وتتحول كسرة في موطن، وتثبت فتحة مسبوقة بكسرة في مواطن أخرى؛ ففي يفعلون، وتفعلون تثبت حركة النون فتحة مخالفة للضمة الطويلة السابقة، وفي يفعلان وتفعلان تقلب فتحة النون كسرة مخالفة للفتحة الطويلة السابقة، وفي تفعلين تثبت حركة النون فتحة مخالفة للكسرة الطويلة السابقة. فالحركة تثبت، أو تتحول في الأفعال الخمسة تبعاً لقانون المخالفة.

---

(١) نظر أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص٤٠٥

ولا تقتصر المخالفة بين الحركات على العلاقة بين الحركات القصيرة والطويلة، بل وتقع المخالفة بين الحركات الطويلة أيضاً؛ فلو نظرنا إلى الفتحة الطويلة (الألف المقصورة) في نهاية المضارع الدال على المفرد لوجدنا أنها تتحول إلى (الياء y) شبه الحركة عند استخدامه للدلالة على المثنى، وعلة ذلك أن دخول الفتحة الطويلة التي تمثل مورفيم التثنية يؤدي إلى تتابع الحركات الطويلة المتماثلة، والحركات لا تتوالى، والفتحة الطويلة الدالة على مورفيم التثنية لابد من ثباتها؛ فتتحول الفتحة الطويلة السابقة إلى (الياء y) شبه الحركة وذلك للمخالفة، ومن أمثلة ذلك:

يسعى ← يسعيان

yasʕaya:ni ← yasʕa·

yasʕa:a:ni ← yasʕa· بدخول ألف التثنية تتابعت الحركات الطويلة المتماثلة.

yasʕaya:ni ← yasʕa:a:ni

[+ مورفيم التثنية] a: ____ / y ← a

تحولت الفتحة الطويلة إلى الياء شبه الحركة عندما تلتها الفتحة الطويلة التي تمثل مورفيم التثنية، وذلك لعدم جواز توالي الحركات وكذلك (يرضى) تتحول إلى يرضيان بدلاً من (يرضى ان yarḍa:a:n)، (ينهى) تتحول إلى ينهيان بدلاً من (ينهى ان yanha:a:n)، والمخالفة في مثل هذه الأمثلة مخالفة مباشرة؛ لأن الأصوات التي وقعت فيها المخالفة لا يفصل بينها أي صوت.

الفصـــل الثـــالث

حركات اللغة العربية وقانونا القلب والحذف



حركات اللغة العربية وقانون القلب والحذف

قانونا القلب والحذف من القوانين الرئيسية في بناء الكلمة العربية، ويظهر أثر هذين القانونين بشكل واضح على حركات العربية، وأشباه الحركات، فتقلب الحركة حركة، وتقلب الحركة شبه حركة، وتقلب شبه الحركة حركة. وتحذف الحركة، وشبه الحركة وقد أدت العلاقة القوية بين قانوني القلب والحذف إلى التداخل في التعليل، واضطراب بعض الآراء؛ كتعليل تحول قول إلى قال بقلب الواو ألفا مع أن الواو شبه الحركة في قول حذفت، وشكلت الألف من التقاء حركتي الفتح القصيرين ضمن قانون الحذف وليس القلب

لقد وقع التداخل والاضطراب بين قانوني القلب والحذف لدى بعض العلماء قدماء ومحدثين نتيجة الفجوة بين النظرية والتطبيق، وهذه الفجوة لم تأت لعيب في النظرية، بل نتيجة خلل في التطبيق، وقد تأمل دلالة مصطلح الصرفي الذي حددته النظرية؛ فقد حدد ابن يعيش الفروق بين دلالة هذه المصطلحات تحديداً دقيقاً بقوله: "البدل أن تقيم حرفاً مقام حرف إما ضرورة وإما صنعة واستحساناً، وربما فرقوا بين البدل والعوض فقالوا البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض والبدل على ضربين. بدل هو إقامة حرف مقام حرف غيره، وبدل هو قلب الحرف نفسه إلى لفظ غيره على معنى إحالته إليه، وهذا إنما يكون في حروف العلة التي هي الواو والياء والألف، وفي الهمزة أيضاً لمقاربتها إياها وكثرة تغيرها، فكل قلب بدل، وليس كل بدل قلباً"(1)

(1) شرح المفصل ١٠/ ٧، وينظر ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، ص١١٣ ،١١٥، تحقيق فخر الدين قباوة، ط١، المكتبة العربية، حلب، ١٩٧٣

فالقلب بمعناه الدقيق ليس مجرد إحلال صوت مكان صوت آخر، بل قلب الصوت إلى صوت آخر بمعنى إحالته إليه كما يقول ابن يعيش، وذلك لوجود علاقة صوتية وثيقة بين الصوتين، ومن هنا انحصر القلب في الحركات وأشباه الحركات، وفي الهمزة بنسبة أقل، أما ما يقع في الصوامت الخالصة فهو إبدال أو عوض، أما الحذف فيقع في الصوامت، والحركات وأشباه الحركات.

وفي هذا الفصل سأعرض هذين القانونين ضمن علاقتهما بالحركات العربية، وصلة الحركات بأشباه الحركات في بعض المواطن.

أولاً. حركات اللغة العربية وقانون القلب.

أ- قلب الحركة إلى حركة:

تقلب الحركة إلى حركة في مواطن مختلفة، ولأسباب عدة، وقد علل العلماء قلب الحركة، غير أن بعض الآراء قد يبتعد عن الصواب على ما فيها من جهد هادف خدمة للعربية، وإذا كانت بعض الآراء لم توفق في تعليل هذه الظواهر فإن كثيراً من الآراء قد أفضت إلى تعليل جوهري دقيق، فقد علل القدماء قلب الحركة في بعض المواطن بالإتباع، وذلك كما في تحول كسرة الميم /i/ في منذ إلى ضمة /u/ مُنذ، وكذلك قلب ضمة الهاء في عليه، وعليهم إلى كسرة مجانسة للياء شبه الحركة /y/[1].

ومع أن الأخفش يعلل كثيراً من هذا القلب بظاهرة الإتباع، إلا أنه في توجيهه لكسر الدال في قراءة "الحمد لله" يقول. وقد قال بعض العرب "الحمد لله" فكسره وذلك أنه جعله بمنزلة الأسماء التي ليست بمتمكنة. وذلك أن الأسماء

---

(١) انظر الفراء، معاني القرآن ١ ٥

التي ليست بمتمكنة تحرك أواخرها حركة واحدة لا تزول عنها"[1]، وأحسب أن كسر الدال إنما جاء للاتباع، وهو رأي القدماء أيضاً.

وتقلب الحركة حركة في بعض أبنية جمع التكسير وذلك مثل سلطان، ومصباح، ومشار التي تجمع على سلاطين، ومصابيح، ومناشير، فقد رأى بعض القدماء أن الألف تقلب ياء عندما تكون مسبوقة بكسرة، وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله: "إذا وقعت الألف بعد كسرة وجب قلبها ياء، كقولك في جمع مصباح ودينار. (مصابيح، ودنانير)، وكذلك إذ وقعت قبلها ياء التصغير"[2].

والحقيقة أن الألف في مصباح وما شاكلها لم تسبق بكسرة، بل هي التي تحولت إلى كسرة، ولو كانت مسبوقة بكسرة كما ورد لكان في ذلك محذور، هو تتابع الحركات المختلفة، وتخلصاً من هذا المحذور لا تلجأ العربية إلى محذور آخر وهو قلبها إلى كسرة، لأن تتابع الحركات بقي ماثلاً مع اختلاف نوعية الحركات المتتابعة، ويؤكد عدم وجود كسرة قبل الألف في هذه الكلمات وما شاكلها، تقسيمها إلى مقاطعها الرئيسية قبل قلب الألف على النحو التالي:

سلطان ← سلاطان   sa la: ṭa:n ← sulṭa:n

مصباح ← مصاباح   ma ṣa: ba:ḥ ← mıṣba:ḥ

منشار ← مانشار   ma na: šar ← minšar

---

(1) الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة) معاني القرآن، ص٩، تحقيق فائز فارس، ط٢، الكويت، ١٩٨١م

(2) ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل)، شرح ابن عقيل، ٥٥٧.٢، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ٢، د.ت.

إن الجمع في هذه الكلمات مع بقاء ألف المفرد لا يظهر وجود كسرة قبل الألف كما قال القدماء، بل جاءت مسبوقة بأصوات صوامت هي: الطاء، والباء، والشين. ومن هنا فإن الكسرة الطويلة في جمعها المألوف لدينا منقلبة عن الفتحة الطويلة: a: ← i: فتجمع على سلاطين، ومصابيح، ومناشير.

وأحسب أن علة القلب هي وجود غير حركة طويلة في كلمة واحدة في جهة، وأن هذه الحركات من جنس واحد، فتخلصت من تشابه هذه الحركات بقلب الفتحة الطويلة الثانية كسرة طويلة، وهو نوع من المخالفة، وأرجح أيضاً أن جمع كلمة مصباح على مصاباح قد لا يفي بدلالة الجمع؛ حيث يتبادر للذهن السامع دلالة المفرد، وذلك لأن الحركات تجذب النبر أكثر من الصوامت، فيقع النبر على الفتحة الطويلة الثانية (أي الألف) التي كانت في الأصل للمفرد، وتحاشياً لهذا اللبس قلبت كسرة طويلة، وبذلك فإن مورفيم الجمع في مثل: مصابيح، وسلاطين، ومناشير، لا ينحصر في الفتحة الطويلة، بل يأتي مورفيم الجمع هنا مزدوجاً؛ فالألف، والكسرة الطويلة المنقلبة عن ألف المفرد يمثلان الدلالة على الجمع، وقد أشار عبد الصبور شاهين إلى شيء من هذا بقوله "إن الألف (مصباح) هي ألف صيغة (مفعال) اسم الآلة، والكسرة الطويلة في (مصابيح) هي كسرة صيغة منتهى الجموع[1].

ولم ينحصر قلب الألف في مثل هذه الجموع في قلبها كسرة طويلة، بل قلبها بعض العرب ضمة طويلة كما أشار الأخفش. "وقد قال ناس من العرب (الشياطون)"[2].

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية، ١٨٦

(٢) الأخفش، معاني القرآن، ١ ١٤

وقد يسم هذا عن قياس متوهم على جمع المذكر السالم، ومن خلاله يستخلص من ألف المفرد التي يوحي بقاؤها عند الجمع بدلالة المفرد، وبقلبها تستحضر دلالة الجمع، وسواء قلبت الألف كسرة أم ضمة، فإنه قلب حركة إلى حركة.

ويرى شرف الدين الراجحي أن الألف مسبوقة بياء مكسورة؛ إذ يقول: "تقلب الألف ياء في مسألتين:

أ- أن ينكسر ما قبلها، وذلك مثل كلمة (مصباح)، فالمفروض أن نجمعها على (مصاباح) ولكن لأن الياء التي قبل الألف مكسورة فلابد أن تقلب الألف إلى ياء في الجمع فتصير (مصباح، وجمعها مصابيح .)"[1]

وواضح هنا أن الحلل مركب؛ فقد حدد أن ما قبل الألف ياء مكسورة، وقد ثبت من خلال تقسيم الكلمة إلى مقاطعها الرئيسية أن الألف تمثل حركة الصوت الصامت السابق لها، فلا وجود للكسرة التي عرض ها، ولو كانت الألف مسبوقة بياء مكسورة لتوالت الياء وكسرتها والكسرة الطويلة المنقلبة عن الألف، فيكون بناء الكلمة على النحو التالي:

مصبح ← مصابياح ← مصابيح

ma ṣa. byii·h: ← maṣa:byii:h ← maṣa:bya:h ← mıṣba:h

فيتكون المقطع الأخير في الكلمة من صامتين متواليين، وكسرة قصيرة، وكسرة طويلة، وصامت، وهذا لا يتفق مع طبيعة المقطع العربي.

---

(١) شرف الدين علي الراجحي، البسيط في علم الصرف، ص١٦٥، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م.

وتقلب الحركة حركة في بعض مواطن التصغير؛ ففي تصغير: مصباح، وسلطان، ومفتاح على: مصيبيح، وسليطين، ومفيتيح تقلب الفتحة الطويلة كسرة طويلة بعد دخول ياء التصغير على بنية الكلمة على النحو التالي

mușayhi·h ← mışba h
sulayti·n ← sulta.n
mufa:yti:ḥ ← mıfta:ḥ
i: ← a

وقد تكون علة قلب الفتحة ناتجة عن دخول ياء التصغير في بناء الكلمة وذلك طبقاً لقانون المماثلة؛ أي قلبت الفتحة الطويلة كسرة طويلة مماثلة للياء، لأن الياء شبه الحركة /y/ والكسرة /i/ من جنس واحد من حيث الجرس الصوتي، وموضع النطق، ولا ينحصر قلب الحركة في بعض مواطن التصغير في قلب الحركة الطويلة، بل تقلب الحركة القصيرة أيضاً، ففي الرباعي المجرد نحو جعفر، ودرهم، وخنجر، وتصغيرها جعيفر، ودريهم، وخنيجر نجد أن الفتحة هي حركة الصامت الثالث، وعند دخول ياء التصغير تقلب الفتحة كسرة، وأحسب أن هذا القلب إنما جاء لعلة المماثلة أيضاً

ومن مواطن قلب الحركة حركة بناء المبني للمجهول

يقول داوود عبده "يتكون المد الطويل الموجود في الفعل المجهول (بيع) وأصله (بُيِعَ) على وزن (فعل) من توالي كسرتين بعد سقوط الياء الواقعة بينهما: (بُيِع) تصبح أولاً (بِيِعَ) ثم تصبح الكلمة الأخيرة (بيع) بعد ان تسقط الياء الواقعة بين كسرتين، ويتكون من هاتين الكسرتين كسرة طويلة، ومثل هذا ينطبق على (قيل) وأصلها (قول)[1]، وتصل الكلمة إلى مرحلتها النهائية من البناء للمجهول على الرأي السابق بعد مرورها بقلب الفتحة كسرة للمماثلة، ثم

---

(١) داوود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص٣٨، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٣م

سقوط الياء شبه الحركة لوقوعها بين كسرتين فيشكل المد الطويل بالتقاء الكسرتين

bi ʕa ← biiʕa ← biyiʕa ← buyiʕa

ومع صحة القلب بهذه الخطوات إلاّ أن قلب الحركة من بناء المبني للمعلوم إلى بناء المبني للمجهول هو الأولى، لأن المعلوم أصل، والمجهول فرع، ففي قال، وباع، وما شاكلها تقلب الفتحة الطويلة كسرة طويلة لتصبح: قيل، وبيع، وقد أشار عباس حسن إلى قلب الألف في المبني للمجهول بقوله "إذا وقعت الألف بعد ضمة وجب قلبها واواً... ومثال الفعل (رووجع، عومل، بويع، وأصلها راجع، عامل، بايع)"[1].

وقلب الألف من بناء المبني للمعلوم إلى كسرة، أو ضمة في بناء المبني للمجهول أيسر وأقل جهداً من حيث شرح الخطوات المفترضة سابقاً، وسواء قلبت الألف ضمة، أو كسرة فإنه قلب حركة إلى حركة؛ ففي: صاحب، وسارل، وراجع، وعامل، وبايع، يتحول البناء إلى صوحب، وسورل، ورووجع، وعومل، وبويع، فإن الفتحة الطويلة قلبت ضمة طويلة u: ← a:

وفي تحول باع، وقال، وساق إلى بناء المجهول: بيع، وقيل، وسيق، تقلب الفتحة الطويلة كسرة طويلة.

i. ← a:

هذه هي بعض المواضع التي تتضمن ظاهرة قلب الحركة حركة، ويظهر هذا القلب في الحركات الطويلة والقصيرة، إلا أنه في الطويلة أظهر وأوضح؛ لأن معالجته في الحركات القصيرة تتطلب في بعض المواضع متابعة في الأصل، أو البناء المفترض الذي لا نجزم بقطعية وقوعه وحصوله

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ٤، ٧٨٣، ط٥، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م

ب- قلب الحركة إلى شبه حركة

تقلب الحركة إلى شبه حركة في التصغير، كتصغير عجوز، وغزال، ورغيف، وكتاب على عجيز، وغزيل، ورغيف، وكتيب، ولو بقيت الحركة دون قلب لجاء بناء الكلمات على النحو التالي:

عجيور ʕu/jay/u:z

غزيال gu/zay/a:l

رغييف ru/gay/i:f

كتياب kutaya:b

وفي هذا البناء نلاحظ أن الجامع المشترك بين الكلمات هو ابتداء المقطع الأخير بحركة، والمقطع في العربية لا يبدأ بحركة[1]، والذي أراه أن الحركة لا تسقط ويعوض عنها بشبه الحركة الياء /y/ كما يرى عبد الصبور بل تقلب الحركة إلى الياء شبه الحركة؛ لأن قلبها أولى من سقوطها، ثم التعويض عنها بشبه الحركة.

وقد علل ابن الحاجب قلب الحركة هنا لوقوعها بعد ياء التصغير[2]، وهذا التعليل ليس له ما يسوغه؛ فياء التصغير ليست صوتاً يتسم بسلطة على الحركات، بل العلة تكمن في وقوع الحركة في بداية المقطع.

وتقلب الحركة في التصغير إلى شبه حركة في (مال)، حيث نصغر هذه الكلمة وما شاكلها على مويل muwayl، ولو بقيت الكلمة على وضعها بعد التصغير لجاءت على البناء التالي: مايل mua:yl، ونلاحظ في هذا البناء أن

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية، ١٥٥

(٢) انظر: شرح شافية ابن الحاجب، ١/ ٢٤٩

الضمة، والفتحة الطويلة يتواليان، والحركات لا تتوالى، والمقطع الأخير في الكلمة يبدأ بحركة، والمقطع في العربية لا يبدأ بحركة، ولو افترضنا أن المقطع الأخير يتشكل من صوتي الياء شبه الحركة، واللام فإن هذا لا يبرر بناء الألف دون قلب، لأن هذا النمط من المقاطع لا تقبله العربية؛ فالمقطع في العربية لا يتشكل من الصوامت بمعزل عن الصوائت، ومن هنا كان لابد من قلب الفتحة الطويلة إلى واو شبه الحركة /w/، فيكون بناء الكلمة مويل muwayl، وفي هذا البناء تتكون الكلمة من مقطعين ص ح / ص ح ص ص

وتقلب الحركة شبه حركة عندما تتبعها ألف التثنية، وذلك في الفعل المضارع المنتهي بحرف علة، أي بحركة طويلة، وذلك على النحو التالي:

يسعى ← yasʕa: ← يسعيان ← yasʕaya:n

يسمو ← yasmu. ← يسموان ← yasmuwa:n

يمشي ← yamši· ← يمشيان ← yamšiya:n

$$\left\{ \begin{matrix} a \\ u \\ i^{\cdot} \end{matrix} \right\} \leftarrow /y \leftarrow [\text{a:} + \text{مورفيم التثنية}]$$

تقلب الحركات الطويلة شبه حركة في الموطن الذي تكون فيه متبوعة بالألف التي تمثل مورفيم التثنية

ينتهي الفعل في حالته الدالة على المفرد بالحركات الطويلة، وعند دخول الفتحة الطويلة التي تمثل مورفيم التثنية على بناء الكلمة قلبت الحركة الطويلة الواقعة في نهاية الفعل إلى شبه حركة، ولو بقيت الحركة الطويلة في نهاية الفعل دون قلب بعد دخول الألف التي تمثل مورفيم التثنية لوقعت بعض المحاذير التي ترفضها العربية؛ فبقاء الحركة الطويلة دون قلب يؤدي إلى تتابع الحركات

مـــن جهة، وإلى بنداء المقطع الأخير بحركة من جهة أخرى، وهذا مرفوض في العربية، وتجاوزاً لهذه المحاذير قلبت الحركة الطويلة شبه حركة للتخلص من هذه المحاذير

ونقلب الحركة شبه حركة في مثل قلب الفتحة الطويلة واواً شبه حركة في بعض جموع التكسير، ومن أمثلته (ضارب، طابع، فارس، جوهر، صاحبة، ناصـــية) وتجمع على (ضوارب، طوابع، فوارس، جواهر، صواحب، نواصي)، ولـــو دخلت الفتحة الطويلة التي تمثل مورفيم الجمع على الكلمة وبقيت الألف الأصلية في الكلمة دون قلب لتوالت الحركات في البناء الجديد للكلمات، وهذا مـــا ترفضـــه العربية أيضاً؛ ففيه تتوالى الحركات، وتبدأ بعض المقاطع بالحركة؛ فكـــان لابد من قلب الألف الأصلية في الكلمة إلى الواو شبه الحركة، والإبقاء على الألف التي تمثل مورفيم الجمع

[مورفيم الجمع + a:] ← / w ← a:

تقلب الفتحة الطويلة واواً (أي شبه حركة) في الموطن الذي تكون فيه متـــبوعة بالفـــتحة الطويلة التي تمثل مورفيم الجمع. وقد نص الميداني على هذا المعنـــى "تقلـــب الألـــف واواً في جمع فاعل وفاعلة إذا جمعا على فواعل نحو ضارب وضوارب، التقى ألفان. ألف فاعل، وألف الجمع فقلب الأول واواً"[1]

وهـــذا يدل على أن الدرس الصرفي كان موضع اهتمام ومتابعة لدى هذا النفر من علمائنا السابقين، وأحسب أن قضية تطوير الدرس الصرفي والسير به قدماً كانت مسألة وقت، ولم تكن مرحلة توقف وجمود

---

(١) أحمـــد بن محمد الميداني، نزهة الطرف في علم الصرف، ص٣٣، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، د. ت

جـ قلب شبه الحركة إلى حركة:

يتعدد طرق تشكل قانون القلب في العربية، فمنها قلب الحركة إلى حركة، وقلب الحركة إلى شبه حركة كما ورد سابقاً، ومن طرق تشكل قانون القلب، قلب شبه الحركة إلى حركة، وهذا ما سأشير لبعض ملامحه، وبعض أمثلته هنا

تقلب شبه الحركة إلى حركة عندما تكون شبه الحركة ساكنة (أي غير محركه) ومسبوقة بحركة، وذلك كقلب الواو شبه الحركة إلى كسرة في مثل (موقات، وموازن، وموعاد، وموراث)؛ حيث تقلب الواو شبه الحركة هنا إلى حركة الكسرة لتصبح بناء هذه الكلمات على النحو التالي: (ميقات، وميزان، وميعاد، وميراث)، ونلاحظ أن الواو شبه الحركة في البناء الأصلي لهذه الكلمات جاءت ساكنة ومسبوقة بكسرة، والواو شبه الحركة في هذا الوضع النطقي تنقلب إلى كسرة مماثلة للكسرة السابقة، وباجتماع الكسرة الأصلية والكسرة المتأتية من انقلاب الواو تتشكل الكسرة الطويلة في هذه الكلمات، وقد أشار سيبويه إلى عدم ثبوت الواو الساكنة المسبوقة بكسرة بقوله "لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة"[1].

وقد يتم القلب بإحدى الطريقتين التاليتين:

الأولى بقلب الواو شبه الحركة إلى كسرة مباشرة لمماثلة الكسرة السابقة، فتتحول الكلمة من موزان miwza:n إلى ميزان mi·za:n وذلك

---

(١) الكتاب، ٤ ١٩٥.

وانظر سر صناعة الإعراب، ٢ ٧٣٢

وانظر مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ١ ٧٠، تحقيق حاتم الضامن، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت- ١٩٨٧م

بالتقاء الحركتين المتماثلتين الكسرة الأصلية، والكسرة المقلبة عن الواو شبه حركة.

أما الطريقة الثانية: فهي قلب الواو شبه الحركة المسبوقة بكسرة إلى ياء شبه حركة، إذ الياء من جنس الكسر. موازن miwza.n ستحول إلى ميزان miyza n ثم تقلب الياء شبه الحركة إلى كسرة تبعاً لقانون مماثلة شبه الحركة للحركة فيتحول الياء من miyza:n إلى mi:za:n، وذلك بالتقاء الحركتين المتماثلتين الكسرة الأصلية، والكسرة المقلبة عن الياء شبه الحركة، والأرجح أن القلب يتم بالطريقة الثانية، أي القلب غير المباشر.

ويقلب الياء شبه الحركة ضمة عندما تكون الياء شبه الحركة ساكنة ومسبوقة بحركة الضم، وأمثلة ذلك. (مُيسر، ومُيقن)، حيث يتحول هذا الياء إلى (موسر، وموقن)، ويلاحظ أن الياء شبه الحركة في الياء الأصلي لهذه الكلمات جاءت ساكنة، ومسبوقة بحركة الضم، فقلبت ضمة مماثلة للضمة السابقة. ويلاحظ أن الياء الأصلي في (موزان، وموعاد) وفي (ميسر، وميقن) لا يتعارض مع طبيعة المقطع العربي، ومن هنا فقد جاء تعبير ابن جني دقيقاً إذ يقول " وكذلك قالوا: موسر، وموقن وأصلهما: ميسر وميقن، فكرهوا الياء بعد الضمة"[1]. فقد علل القلب هنا بالكراهية وليس برفض العربية لهذه الياء.

وتتمثل طريقة قلب أشباه الحركات إلى حركات في الأمثلة السابقة بالمعادلات التالية

w ← i / i ______ تتحول الواو شبه الحركة إلى كسرة في الموطن الذي تكون فيه ساكنة ومسبوقة بكسرة

(١) سر صناعة الإعراب، ١٨٠/١ ١٩

وهـــذه المعادلة تمثل الطريقة الأولى، أما الطريقة الثانية فتمثلها المعادلة

التالية:

w ← y / i ______ تتحول الواو شبه الحركة المسبوقة بكسرة إلى

ياء شبه حركة (موران)

y ← i / i ______ تـتحول الياء شبه الحركة المسبوقة بكسرة إلى

كسرة للمماثلة.

y ← u / u ______ تـتحول الياء شبه الحركة إلى ضمة في الموطن

الذي تكون فيه ساكنة ومسبوقة بضمة، وهذا على الطريقة الأولى (ميسر).

أما الطريقة الثانية فمثلها المعادلة التالية

y ← u / w ______ تتحول الياء شبه الحركة إلى واو شبه حركة

عندما تكون الياء ساكنة ومسبوقة بضمة

w ← u / u ______ تتحول الواو شبه الحركة إلى ضمة عندما تكون

ساكنة ومسبوقة بضمة

ثانياً حركات اللغة العربية وقانون الحذف

أ- حذف الحركة

يعـــد قانون الحذف من القوانين الفاعلة في بناء الكلمة العربية، حيث يعمـــل هـــذا القانون على التناسق بين مقاطع الكلمة، ويقع حذف الحركة في مواطن عدة في بناء الكلمة العربية

تحـــذف الحركة في الفعل الماضي المسند إلى الضمائر، وقد ألمح رمضان عـــبد التواب إلى ذلك بقوله: "ومن النظام المقطعي في العربية الابتعاد عن توالي أربعـــة مقاطع من النوع الأول، وهذا هو السر في تغيير نظام المقاطع في الفعل

الماضي الثلاثي المتصل بضمير الرفع المتحرك إلى مقطعين من النوع الأول، يليهما مقطع من النوع الثالث مثل (ضربت) بدلاً من توالي أربعة مقاطع من النوع الأول في (ضربت)[1] فالفعل الماضي عند إسناده إلى الضمائر يجري عليه التحول الداخلي على النحو التالي:

شرب šariba ص ح / ص ح / ص ح

شربتُ šaribtu ص ح / ص ح ص / ص ح.

شربت šaribta ص ح / ص ح ص / ص ح

ونلاحظ هنا أن حركة المقطع الثالث حذفت فاتصل ما تبقى من المقطع بالمقطع السابق ليشكل مقطعاً طويلاً مقفلاً يتمثل في (ص ح ص)، وهذا التحول في بناء الفعل هنا يقوم على أساس حذف الحركة القصيرة وتشكيل بناء مقطعي جديد.

ومما سبق فإن العربية لا تنفر من توالي ثلاثة مقاطع قصيرة متحركة كما يرى عبد الصبور شاهين "إن العرب في نطقهم لثلاثة مقاطع متحركة يسكنون الوسط منها، لأن نسج اللغة ينفر من هذا النوع"[2].

والحقيقة أن توالي أربعة متحركات أمر تتحاشاه العربية كما أشار رمضان عبد التواب سابقاً، ولو كانت العربية ترفض النظام المقطعي لثلاثة متحركات ما كان الجذر الثلاثي يفوق الجذور الأخرى، وعبد الصبور نفسه يورد ما نصه "وقد بلغ عدد الجذور الثلاثية المستخدمة فعلاً في اللغة العربية

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ٦٣

(٢) عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ٤١٦، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.

(٧٥٩٧) فكيف بالثنائي الذي يقع الممكن منه رياضياً (٧٨٤)، ثم لا نجد في جملة من تتابعاته إلا بضع كلمات أو عناصر قديمة"[١]

وقد أظهرت الدراسة الإحصائية التي قام بها علي حلمي موسى أن الجذر الثلاثي يتفوق في كميته في لسان العرب على الجذور الأخرى "وفيما يختص بالجذور الثلاثية فعددها في لسان العرب ٦٥٣٨"[٢].

ومما سبق يتبين أن العربية لا تفر من توالي ثلاثة متحركات، وعليه فإن بناء الماضي المتصل بالضمائر المتحركة يقوم على أساس حذف الحركة في بعض المواطن، وتحويل البناء المقطعي إلى بناء جديد

وتحذف الحركة الطويلة حذفاً جزئياً من الفعل الماضي الناقص عند إسناده إلى تاء التأنيث نحو: رمى، وعرا؛ فعند إلحاق تاء التأنيث بهذه الأفعال تصبح: رمت، وعرت[٣]، بدلاً من رمات، وعرات، ويعلل الشايب سبب حذف الحركة هنا بنفور العربية من المقطع المديد، وإضافة إلى ذلك فإن بقاء الحركة الطويلة من هذه الأفعال يؤدي إلى اللبس؛ فلو بقيت الحركة الطويلة بعد إضافة تاء التأنيث لأصبح البناء الجديد على النحو التالي: رمات، وعرات، بفتح الراء، والعين، وهذا البناء يؤدي إلى اللبس بـ (رماة، وعراة) جمع (رامٍ، وعارٍ)

---

(١) عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي، ص١١٨، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م

(٢) علي حلمي موسى، إحصائيات جذور معجم لسان العرب، ص٢٩، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٢م.

(٣) انظر أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص١٢٦

وتحــذف الحــركة الطويلة في الماضي الأجوف عند إسناده للضمائر المتحركة، ويأتي حذفها على مراحل كما عرضه الشايب، إذ يقول في حديثه عن إسناد الأجوف إلى الضمائر الصامتة المتحركة "وبإلحاق الضمائر الصامتة تتشكل سياقات صوتية مرفوضة، عبارة عن مقاطع مديدة مفردة الإغلاق (ص ح ح ص)، ومثل هــذه المقاطع مرفوضة على هذه الصورة، وبتقصير الحركة تصبح الأفعال: قلت، وبَعت، وطلت، وخَفت، وهبت، وهنا تعمد العربية إلى التمييز بينها؛ فما كانت عينه ياء أو محركة بالكسر تكسر فاؤه، لأن الكسر والياء متجانسان، وتضم فاء ما عدا ذلك من الأفعال، ومن ثم تصبح الأفعال في النهاية قُلت، وطُلت، وبِعت، وخِفت، وهِبت"[1]، ويلاحظ أن الحذف هنا يقع على الحركات الطويلة بشكل تدريجي، ففي المرحلة الأولى تقصر ثم تحذف الحركة القصيرة المتبقية، وهي حركة الفتحة، وتحل مكانها حركة الضمة أو الكسرة تبعاً لأصل الفعل ويمثل رأي الشايب السابق طرحاً علمياً لكنه لا يخلو من المحاذير، أما سيبويه فيقول "وأما قلت فأصلها فعلت معتلة من فعلت، وإنما حولت إلى فعلت ليغيروا حركة الفاء عن حالها لو لم تعتل؛ فلو لم يحولوها وجعلوها تعتل من (قولت) لكانت الفاء إذا هي ألقي عليها حركة العين غير متغيرة عن حالها لو لم تعتل، فلذلك حولوها إلى (فعلت) فجعلت معتلة منها"[2] وكذلك بعت فإن سيبويه يرى أنها تصح على هذا البناء بعد التحول والنقل

---

(١) تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، ص٥٩

(٢) الكتاب، ٤/ ٣٤٠ وانظر ابن جني، المنصف، ١/ ٢٣٤، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، ط١، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ١٩٥٤م.

من (بيعت إلى بعت إلى بعت) أي من فتح الباء إلى كسرها ثم نقل الكسر من الياء إلى الباء[1].

ولم يوافق الاستراباذي أصحاب الرأي القائل بالتحويل والنقل لهذه الصيغ، فهو يرى أن الضمائر أحقت بالأفعال مقلوبة الواو والياء؛ (قالت، وباعت)، وفي هذه الحال سكن اللام وتسقط الألف لالتقاء الساكنين، ثم قصروا التنبيه على الواوي واليائي والفرق بينهما فاجتلبوا الضمة والكسرة لتدل الأولى على الواو، والثانية على الياء[2]، ومن مقارنة رأي الشايب برأي الاستراباذي نلحظ درجة من التقارب في تعليل إسناد الأجوف إلى الضمائر المتحركة، ومع أني أميل إلى رأي الشايب وأرجحه على غيره من الآراء إلا أنني لا أوافقه على رأيه بقوله. "فإن القاعدة في العربية أن الحركة التالية لشبه الحركة تسقط هي الأخرى، ويعوض منها بمد حركة المقطع الأول وبذلك نحصل على (طال، وخاف، وهاب)، وهذا في رأيي أولى من ادعاء تحويل (طول) بين (طول) و(خوف) إلى (خوف)، و(هيب) إلى (هيب) ذلك أن افتراض مثل هذا التغيير على بنية الفعل أمر يعسر هضمه، ويصعب تقبله"[3] والخلاصة أن علة سقوط شبه الحركة تكمن في وقوعها بين حركتين متماثلتين، إما بالتماثل أصلاً، وإما عن طريق تحول الحركة التالية لشبه الحركة لتماثل الحركة السابقة فتقع شبه الحركة بين حركتين متماثلتين، وهنا نجد مبرر سقوط شبه الحركة، وعليه فإن عملية سقوط شبه الحركة تأتي في المرحلة الثانية بعد تحول حركتها لتماثل الحركة السابقة، وسقوط الصوت لا بد له من علة

---

(١) انظر الكتاب ٤ ٣٤٠

(٢) انظر شرح شافية ابن الحاجب، ١ ٧٩-٨٠

(٣) تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، ص٥٨

صـــوتية، أمـــا ما ذهب إليه الشايب فإنه يفتقر لعلة لسقوط، وأما ما أشار إليه الشـــايب مـــن حيـــث رفض العربية للمقطع المديد المغلق (ص ح ح ص) فإن العربية تتحاشاه وتميل إلى التقليل منه، ولكنها لا ترفضه كلياً

ويقـــع حذف الحركة في مواضع عدة؛ حيث تحذف الحركة في الفعل المضـــارع، ومـــا يهمنـــا هنا هو الحذف الذي يقع في المضارع المعتل، فالفعل المضـــارع المعـــتل الآخر إذا ما قيس على الفعل الصحيح فإنه يأتي على النحو التالي

يمشي yamšiyu

يغزو yagzuwu

يسعي yasʕayu

وقـــد قـــال ابن يعيش في ذلك "اعلم أنك إذا قلت (يغزو) و(يرمي) و(يخشـــى) فعلامـــة الرفع ضمة مقدرة، استثقل اللفظ بها على واو مضموم ما قبلها، وعلى ياء مكسور ما قبلها، فحذفت، والنية فيها الحركة"[1].

ونلاحظ أن شبه الحركة (الياء y) في كلمة (يمشي) قد جاءت مسبوقة بكســـرة ومتـــبوعة بضمة، وفي هذه الحال تقلب الضمة إلى كسرة تبعاً لقانون المماثلة، وثقل الضمة بعد الكسرة، فيصبح بناء الكلمة على النحو التالي يمشي yamšiyi، وهـــنا تقـــع (الياء y) شبه الحركة بين حركتين متماثلتين، وشبه الحـــركة تســـقط عند وقوعها بين حركتين متماثلتين فيصبح بناء الكلمة على النـــحو التالي: (يمشي :yamši) أي يتم اتحاد الكسرتين ليتشكل منهما كسرة طويلة. أما كلمة (يغزو yagzuwu) فإن (الواو w) شبه الحركة واقعية أصلاً

---

(1) شرح الملوكي في التصريف، ٢٤٥

بين حركتين متماثلتين فتسقط فتتحول بناء الكلمة إلى يغزو :yagzu، أي يتم تحاد حركتي الضم فيتشكل منهما ضمة طويلة، وكذلك سعى، فالأصل فيها (سعى sa'aya)، والمضارع منها (يسعي yas'ayu) قياساً على المضارع الصحيح فتقلب الضمة فتحة للمماثلة، فتقع الياء شبه الحركة بين حركتين متماثلتين فتسقط ومن هنا فإن المضارع المعتل الآخر ينتهي بحركة طويلة طارئة في الكسر والضم، وعند دخول عامل الجزم فإن علامة الجزم في هذه الأفعال هي حذف الحركة وهو هنا حذف جزئي؛ حيث تقصّر الحركة الطويلة:

يمشي	yamši:	←	لم يمش lam yamši
يغزو	yagzu	←	لم يغز lam yagzu
يسعي	yas'a	←	لم يسع lam yas'a

ويلاحظ هنا أن الحركة الطويلة التي قصرت لا تمثل دلالة نوعية أو مورفيمية، وهذا يسهل عملية الحذف الجزئي، وبقاء قسمها الآخر ضروري لإتمام المقطع، فلو حذفت الحركة حذفاً كاملاً لوقع محذور في بناء الكلمة وهو تشكل المقطع الأخير من صامت منفرد، وهذا مرفوض في بناء المقاطع العربية.

أما حذف الحركة أو ما يسمى تقصير المد في الفعل الأجوف فإنه يأتي على النحو التالي:

يقول	yaqu:lu	ya/qu:/lu
يسير	yasi:ru	ya/si:/ru
ينام	yana:mu	ya/na:/mu

ويلاحظ أن هذه الكلمات تتكون من التقسيم المقطعي التالي

ص ح / ص ح ح / ص ح

وبما أن علامة الجزم تتمثل بحذف حركة آخر الفعل، فإن حذفها يؤدي إلى مشـــكلة في المقطع العربي؛ فالمقطع العربي لا يتكون من صامت منفرد (ص)، وهـــنا لابد من ضم ما تبقى من هذا المقطع إلى المقطع السابق، فيتحول التقسـيم المقطعي لهذه الكلمات إلى: ص ح – ص ح ح ص، ويتشكل البناء المقطعي هنا مـــن مقطـــع قصـــير مفتوح، ومقطع مديد مغلق، والنمط الثاني من هذا البناء المقطعي مكروه تتحاشاه العربية فتحاول التقليل منه، فيتكون البناء المقطعي عند جزم هذه الأفعال مما يلي:

لم يقل lam / ya / qul

لم يسر lam / ya / sir

لم ينم lam / ya / nam

وفي هـــذا البناء يتحول المقطع المديد (ص ح ح ص) إلى مقطع طويل مغلق (ص ح ص) وذلك بالحذف الجزئي للحركة الطويلة، ومن هنا فإن العلة في تقصير المد الطويل تأتي من دافعين: أولهما علة المقطع، وإشكالاته التي تقع في حين عدم جواز حيناً، وفي الكراهية حيناً آخر، مما يضطر الناطق لتشكيل مقـــاطع الكلمة. أما الدافع الثاني، فيتمثل في كون الحركة المحذوفة لا تمثل قيمة فونيمية أو مورفونيمية؛ فتقصير الحركة لم يؤثر على دلالة الكلمة، أو على مورفيم الفعل، ولا ينحصر الأمر في ما ذهب إليه داوود عبده إذ يقول: "ظاهرة (حذف حرف العلة)، أو على الأصح تقصير المد الطويل بحيث يصبح مداً قصيراً، ظاهرة لغويـــة مستقلة تتبع قانوناً لغوياً عاماً في العربية لا يقتصر على حالة جزم الفعل الأجوف وحدها، فالمد الطويل يتحول إلى المد القصير الذي يماثله في كل حالة يتلوه فيها صوت ساكن"[1]

---

(١) أبحاث في اللغة، ٤٣

ولـــو كـــان تقصير الحركة الطويلة ينحصر في كونها متبوعة بصامت ساكن لقصـــرت الحركة في مثل: (مسلمون، مهندسون، معلمين) فالحركات الطويلـــة هنا متبوعة بصامت ساكن ولم تقصر، والعلة في ذلك تتمثل في كون الحـــركات الطويلة هنا تمثل مورفيم الجمع، وقد أشار الصيمري إلى دلالة الواو والـــياء بوصفها أصوات مد في جمع المذكر بقوله: "أما المذكر فجمعه في الرفع بـــالواو... وفي النصب والجر بالياء... وفي الواو ثلاث علامات: علامة الرفع، وعلامـــة الجمع، وعلامة التذكير، وكذلك في الياء ثلاث علامات: علامة الجر والنصب، وعلامة الجمع، وعلامة التذكير"[1].

فلـــو قصرت هذه الحركات في جمع المذكر لأصبح بناء الكلمات على النحو التالي:

مسلمن	muslimun
مهندسن	muhandisun
معلمن	muʕallimin

ومجيء الكلمات على هذا البناء لا يعطي دلالة الجمع، بل يعطي دلالة المفرد، ومن هنا فإن طول الحركة في هذه المواطن يتضمن دلالة مورفيمية وهي دلالة الجمع.

(١) الصيمري (عبد الله بن علي بن إسحاق)، التبصرة والتذكرة ٨٧/١، تحقيق فتحي أحمد مصطفى، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

أمـــا القول بأن السكون في صوت النون اللاحق هذه الحركات ليس أصـــلاً بـــل سكون عارض، إذ الأصل فيها الحركة كما يرى داوود عبده[١]، فلا أرى أن نصطر إلى الحالة الصوتية الماثلة لنعلل الظاهرة بناء عليها

وعـــدم تقصير الحركات الطويلة في جمع المذكر السالم ينطق ما ذهب إليه بروكلمان بقوله: "وفي المعلقة لا تتحمل اللغات السامية أصلاً إلا الحركات القصـــيرة، فإذا جاء في بناء الصيغة حركة طويلة في مقطع مغلق، فإنها تقصر"[٢] فالحركة الطويلة في جمع المذكر السالم تمثل مورفيم الجمع، ومن هنا فإن الحركة الطويلـــة لا تقصر إذا كانت تمثل مورفيماً ما، أما في حال عدم مورفيميتها فإنها تقصر غالباً تحاشياً للمقطع المديد.

وتقتصر الحركة الطويلة في المضارع عند إسناده لواو الجماعة، في حالة التوكيد؛ فالمؤكد المسند لواو الجماعة مثل: (لتدرسن litadrusunna) قصرت فـــيه الضـــمة الطويلة، وكذلك المضارع المؤكد المسند لياء المخاطبة (الكسرة الطويلة) تقصر حركته مثل (لتدرسن litadrusınna)، ويعود تقصير حركتي الضمة والكسرة هنا إلى طبيعة المقطع؛ حيث يشكل بناء الحركات دون تقصير مقطعـــاً مديداً مقفلاً (ص ح ح ص)، وهذا الشكل المقطعي تتحاشاه العربية ما أمكن، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن كمية الحركات هنا لا تمثل مورفيماً معـــيناً، بل يمثل نوع الحركة ومغايرتها للحركة الأخرى مورفيماً مغايراً للآخر؛ فتقصـــير الضمة الطويلة لم يلغ الضمة كلياً، بل بقيت الضمة القصيرة وهي دالة عـــلى الجمع في هذا الموطن، وفي تقصير كسرة المخاطبة بقيت الكسرة القصيرة

(١) انظر أبحاث في اللغة، ٤٨-٤٩

(٢) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٤٣، ترجمة رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧م

الدالـــة على المؤنث، والكسرة تغاير الضمة في النوع والدلالة المستفادة منها في هذا الموطن

ولو نظرنا إلى المضارع الموجه لجمع المذكر المخاطب في حالة التوكيد مثل (لتدرســـن litadrusanna) لوجدنا أن الحركة الواقعة بعد حرف السين هي حـــركة الفـــتح، ومـــن هنا فقد غايرت حركة جمع المذكر، وحركة المؤنث المخاطب، فالمميز في الأفعال هنا هو نوع الحركة وليس كميتها؛ أي أن مورفيم الجمـــع يكمن في الضمة من حيث هي ضمة تغاير الكسرة، والفتحة، ومورفيم المؤنث المخاطب يكمن في الكسرة من حيث هي كسرة تغاير الضمة، والفتحة، والفـــتحة تمثل مورفيم المذكر المفرد المخاطب من حيث هي فتحة تغاير الضمة والكسرة

ومـــن هـــنا فالعلة في تقصير الحركة الطويلة في المضارع المسند لواو الجماعـــة، وياء المخاطبة لا تكمن في نفور العربية من المقطع المديد فحسب بل في كـــون المورفـــيم المميـــز لا يقـــع في كمية الحركة بل في نوعها، ومغايرتها للحركات الأخرى، وقد قصرت الحركة الطويلة في بعض آيات القرآن الكريم، قال تعالى "وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو "[1]، وقال تعالى: " . أو ـــيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه"[2]، ففي هذه الآيات قصرت الكسرة في كلمة مفاتيح وهي متبوعة بصامت متحرك، ومن هنا فإن علة التقصير لا تكمن في كون الحركة متبوعة بصامت ساكن

ولـــو كانـــت علـــة تقصير الحركات الطويلة تكمن في رفض العربية لـــلمقطع المديد (ص ح ح ص) لما قصر بعض العرب الحركة الطويلة في المقطع

---

(١) سورة الأنعام، ٥٩

(٢) سورة النور، ٦١، وانظر سورة القصص، ٧٦.

الطويــل (ص ح ح)؛ فقد ذكر الفراء أن بعض العرب تقصر الحركة في مثل هذا المقطع، إذ يقول "وقد تسقط العرب الواو وهي واو جماع، اكتفى بالضمة قبلها في ضــربوا (ضربُ)، وفي قالوا قد قالُ ذلك، وهي في هوازن وعليا قيس"[1].

وفي هذا النص الوارد عن الفراء نجد الضمة الطويلة والقصيرة في الماضي تـدل على الجماعة، ومن هنا فإن دلالتها على الجمع لا تكمن في طولها بل في نوعهـا؛ لأن المفرد المذكر يأخذ الفتحة (ضرب ḍaraba)، فالمميز هو نوع الحركة وليست كميتها.

وتقصـير واو الجمـاع الذي أورده الفراء يؤكد ما أذهب إليه، بأن الحركة الطويلة يجوز تقصيرها عندما لا تكمن دلالتها في كميتها؛ أي عندما لا يكـون طـول الحركة مورفيماً له دلالته الخاصة، وعندما يشكل طول الحركة مقطعـاً مديداً مغلقاً: (ص ح ح ص)، ومن هنا فلا ينحصر سبب التقصير في كون حركة متبوعة بصامت ساكن كما ذهب بعض العلماء[2].

ويحـذف الحركة في بعض أنماط الإدغام؛ لأن الإدغام يأتي من حذف حـركة أو مـن انعدام الحركة أصلاً، ومطلب هذا البحث الإدغام الناجم عن حذف الحركة، وهذا النمط يتشكل بطريقتين:

أولاهمـا: حـذف الحـركة بين المتماثلين، ثم دمجهما ليشكلا صوتاً مضعفاً.

---

(١) الفراء، معاني القرآن، ١: ٩٠–٩١

(٢) انظر أبحاث في اللغة، ص٤٣.

وانظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص١٠١، وأثر القوانين في بناء الكلمة العربية، ص١٢٧

وثانيتهما. حصول المماثلة بين الصوامت المتقاربة ليتحولا من متقاربين إلى متماثلين، ثم تحذف الحركة الفاصلة بينهما، وبحذفها يلتقي المتماثلان بشكلا صامتاً مضعفاً، وقد أشار ابن خالويه إلى الطريقين بقوله "الإدغام على وجهين. مماثلة الحرفين، ومقاربتهما، فالمماثلة. كونهما من جنس واحد، والمقاربة: أن يتقاربا في المخرج كقرب القاف من الكاف، والميم من الباء، واللام من النون، وإنما وجب الإدغام في ذلك لأن النطق بالمتماثلين والمتقاربين ثقيل، فخففوه بالإدغام إذ لا يمكن حذف أحد الحرفين[1]، وأحسب أن ابن خالويه لم يقصد بإدغام المتقاربين الإدغام المباشر، وإنما أراد إدغامهما بعد حصول المماثلة، ولكنه أجمل في رأيه و لم يفصل، أما الاسترابادي فقد فصل القول في إدغام المتقاربين بقوله. "لا يمكن إدغام المتقاربين إلا بعد جعلهما متماثلين، لأن الإدغام إخراج الحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة باعتماد تام، ولا يمكن إخرج المتقاربين من مخرج واحد؛ لأن الإدغام إخراج الحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة باعتماد تام، ولا يمكن إخراج المتقاربين من مخرج واحد، لأن لكل حرف مخرجاً على حدة، والذي أراه أن الإدغام ليس الإتيان بحرفين، بل هو الإتيان بحرف واحد مع اعتماد على مخرجه قوي. لأنه لا يمكن مجيء حرفين أحدهما عقيب الآخر إلا مع الفك بينهما، وإن لم تفك بينهما فليس أحدهما عقيب الآخر"[2]، وإذا كنت أوافق الاسترابادي في عدم جواز إدغام المقاربين إلا بعد جعلهما متماثلين، فإني لا أتفق مع رأيه بأن الإدغام هو الإتيان بحرف واحد مع اعتماد على مخرجه" وأحسب أن الاسترابادي قد نظر

---

(١) ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد) الحجة في القراءات السبع، ص٤٠، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ١٩٧١م

(٢) شرح شافية ابن الحاجب، ٣ ٢٣٥

إلى الجانب الصوتي الخالص، ولم يأخذ بالجانب الصرفي، فالصوت المضعف يمثل صوتاً واحداً مع اعتماد على مخرجه؛ أي إطالة مدته الزمنية. أما من حيث قيمته اللغوية فإنه يتكون من صوتين متماثلين. ومن هنا فلا ينظر للمضعف من حيث كميته الزمنية حسب، بل ينظر له من حيث كميته الزمنية، وقيمته اللغوية من خلال الوزن والمعنى. وقد أشار العيني في شرح المراح إلى المضعف بقوله "الإدغام أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل. ثم المدغم والمدغم فيه حرفان في اللفظ، وحرف واحد في الكتابة؛ لأن الحرف المدرج لا يظهر فيها"[1]. ويقصد بإشارته لفظ النطق الذي يغير الوزن، والمقاطع الصوتية.

ويقع حذف الحركة في إدغام المتماثلات في مثل: مدّ، وشدّ، وعدّ وأصلها مدد، وشدد، وعدد، وفي القرآن الكريم: {ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب}[2]، و{من يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب}[3].

أما حذف الحركة في إدغام المتقاربين فمثاله يطّهرون، والأصل يتطهرون؛ قلبت التاء طاء ثم حذفت الحركة الفاصلة بينهما ثم أدغمت الطاء المنقلبة عن التاء في الطاء الأصلية، ومثله: يصّعد، ويذّكر، وأصله يتصعد، ويتذكر

---

(1) العيني (بدر الدين محمود بن أحمد)، شرح المراح في التصريف، ١٤٤، تحقيق عبد الستار جواد، د. ت. وانظر مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة، ٢٤٥، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط٢، دار عمار، عمان، ١٩٨٤م
وانظر دراسات في علم أصوات العربية، ٣٠، وجعفر عبابنه، في حقيقة الإدغام، أبحاث اليرموك، ج٣٠، ع٢، ١٩٨٥م، ص٥٤.

(2) سورة الحشر، آية ٤.

(3) سورة الأنفال، آية ١٣

ب- حذف شبه الحركة.

تحذف شبه الحركة لضعفها عند وقوعها بين حركتين متماثلتين أصلاً، أو متماثلتين نتيجة للتطور اللغوي، ومن أمثلة سقوط (الواو w) شبه الحركة قول qawala فالواو شبه الحركة واقعة بين فتحتين قصيرتين فتسقط، وبذلك تلتقي الحركات المتماثلة فتشكل حركة طويلة فيتحول بناء الكلمة إلى: قال qa:la.

w ← Ø / a — a سقط الواو شبه الحركة عندما تقع بين حركتين متماثلتين.

وتسقط الواو في غزو لوقوعها بين فتحتين قصيرتين فيتحول البناء إلى غزا، وفي يغزو yagzuwu تقع الواو شبه الحركة بين ضمتين قصيرتين فتسقط شبه الحركة، وبسقوطها تلتقي الحركات المتماثلة، فتتشكل حركة الضم الطويلة فيتحول البناء إلى:

يغزو yagzu: w ← Ø / u ___ u

ويرى عبد الصبور شاهين أنه لا يوجد واو شبه حركة في مثل قول، ولا ياء شبه حركة في مثل بيع، بل يرى أن الصوت الموجود ضمة في قول، وكسرة في بيع (قول qauala، بيع baiaʕa)

وما حصل هو مجرد إسقاط الضمة والكسرة هروباً من ثلاثية الحركة إلى الحركة الطويلة[1]

والحقيقة أن الواو في قول، والياء في بيع أشباه حركات، وليست حركات كما يرى عبد الصبور، ولا يخفى على السامع حقيقة الواو والياء

---

(١) انظر المنهج الصوتي للبنية العربية، ١٩٥

أشباه الحركات في هذه الكلمات، فالفرق بين الحركة وشبه الحركة واضح بين يدي السامع.

وفي المبني للمجهول تسقط (الواو w) شبه الحركة لوقوعها بين حركتين متماثلتين، نتيجة التطور اللغوي؛ فمبني للمجهول من قال، قُوِل quwila وذلك على القياس، ولكن هذه الصيغة لم ترد، وغير مستخدمة بل الوارد عن العرب قيل qi:la؛ وذلك بقلب الضمة كسرة للمماثلة، فتقع الواو شبه الحركة بين كسرتين، وبذلك تسقط الواو لوقوعها بين حركتين متماثلتين، وبسقوط شبه الحركة تلتقي الحركات المتماثلة فتتشكل حركة طويلة، فيتحول بناء الكلمة إلى: قيل qi:la[1].

وتحذف (الياء y) شبه الحركة في: (بيع baya؟a، وسير sayara) لوقوعها بين فتحتين قصيرتين، وبسقوطها (أي الياء) تلتقي الحركات المتماثلة فتشكل حركة طويلة، فتحول الياء إلى: باع، سار، ومثله هيب hayiba التي تتحول إلى هيب hayaba فتقع الياء بين فتحتين فتسقط، ويتشكل فتحة طويلة لتتحول البناء إلى هاب.

وكذلك في بناء المبني للمجهول فإن الأصل فيه: (بُيِع buyi؟a، وسُيِر suyira) فقلبت الضمة كسرة للمماثلة، وبذلك يتحول البناء إلى (بيع biyi؟a، وسير siyira)، وهنا تقع الياء شبه الحركة بين حركتي الكسر فتسقط، وبسقوطها تلتقي الحركات المتماثلة فتتشكل كسرة طويلة، فيتحول البناء إلى (بيع bi:؟، وسير si:ra)

وتحذف شبه الحركة من المثال من مثل (وزن يزن، وعد يعد) فلم يأت على (وزن يَوْزِن، وعد يَوْعِد)، وقد أشار سيبويه إلى علة سقوط الواو

---

(١) انظر: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ٥٤-٥٦

هـــا (فصـــرفوا هـــذا الباب إلى يفعل، فلما صرفوه اليه كرهوا الواو بين ياء وكسره "[1]

والواو هنا لم تقع بين ياء وكسرة بشكل مباشر. وأحسب أن مرادهم وجود الياء والواو والكسرة في هذه البناء مستثقل؛ فقد كان ابن يعيش أوضح في تعلـيله وتفســيره هذه النقطة من غيره؛ إذ فصل بعض الشيء محاولاً تعليل حــذف الـــواو بقوله "وأما الحال التي تسقط فيه فمتى كانت الواو فاء الفعل وماضـــيه عـــلى فعل أو فعل ومضارعه على يفعل بالكسر فاؤه التي هي الواو محذوفـــة.. فحذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة استخفافاً، وذلك أن الواو نفسها مستثقلة، وقد اكتنفها ثقيلان الياء والكسرة، والفعل أثقل من الاسم وما يعرض فيه أثقل مما يعرض في الاسم، فلما اجتمع هذا الثقل آثروا تخفيفه بحذف شيء منه، ولم يجز حذف الياء لأنه حرف المضارعة، وحذفه إخلال مع كراهية الابتداء بالواو، ولم يجز حذف الكسرة لأنه بها يعرف وزن الكلمة، فلم يبق إلا الـــواو فحذفت."[2]. ومع أنه يشير إلى وقوع الواو بين ياء وكسرة فلا يفهم مـــن ذلك الوقوع المباشر بين ياء وكسرة، ولكن قد يفهم من ذلك أن وجود الـــياء والواو والكسرة في بناء الكلمة أدى إلى الثقل، ولما كان حذف الياء يخل بالمعنى، وحذف الكسرة يخل بالمعنى أيضاً، فقد آثروا حذف الواو؛ لأن حذفها يزيل الثقل، ولا يخل بالمعنى، أي أن الحذف وقع مباشرة في المضارع.

أمـــا فوزي الشايب فيذهب إلى التعليل من خلال صيغة الأمر من هذه الكلمات؛ فيرى أن صيغة الأمر تستدعي أن تبدأ الكلمة بصامت ساكن (وعد wʕid، وزن wzin)، وهذا محذور في العربية، فتلجأ إلى وضع كسرة في بداية

---

(١) الكتاب ٤ ٥٢-٥٣

(٢) شرح المفصل ١٠ .٥٩.

الكلمة (وعد iwʕid، وزن iwzin)، وهذا محذور آخر؛ فالعربية لا تبدأ بمتحرك، وبذلك تتحقق همزة في البداية، فيتحول البناء إلى (اوعد ʔiwʕid، وزن ʔiwzin)، وهنا يأتي محذور آخر، وهو وجود مزدوج هابط (أو iw) وهنا تلجأ العربية إلى إسقاط الواو للتخلص من المزدوج الهابط، ثم تعمل على مد الكسرة فيصبح البناء (إيزن iːzin؟، وإيعد iːʔiʕid)، وبسقوط الواو التي كانت السبب الحقيقي لتحقق الهمزة يسقط المقطع الأول الذي يتكون من الهمزة والكسرة، فيتحول البناء إلى: (زن، عد)، وقياساً على الأمر سقطت الواو من المضارع[1] ومع ميلي إلى التعليل الصوتي للظواهر اللغوية، ومع وجود الدقة المتناهية في التحويلات الصوتية التي طرحها الشايب إلا أنه يؤخذ على هذا الرأي بعض المآخذ؛ أولها: كثرة المراحل التي جعل الكلمة تمر بها لتتطور إلى ما هي عليه، وهذا يستدعي جهداً زمنياً نتيجة التدرج البطيء، والتأخر في تطور اللغة، ومعلوم أن اللغة تميل إلى اختصار الجهد عضلياً وزمنياً، وهذا يرجح رأي القدماء بالحذف مباشرة للثقل، وثاني تلك المآخذ: أنه قاس المضارع على الأمر، والأمر فرع على المضارع، وقد نص على ذلك في بحثه[2] فالأولى أن نعلل سقوط الواو من المضارع الذي يمثل الأصل، ثم نقيس الأمر عليه، لأن الأمر فرع من المضارع الذي يمثل الأصل، ثم نقيس عليه الأمر، لأن الأمر فرع المضارع، وقد أشار عبد العليم إبراهيم إلى ذلك بقوله "وحمل على المضارع الأمر (عد) والمصدر (عدة)"[3].

---

(١) انظر: تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، ٣٣

(٢) انظر: المرجع نفسه، ٣١

(٣) عبد العليم إبراهيم، تيسير الإعلال والإبدال، ٦٩، مكتبة غريب، مصر، ١٩٦٩م

والمـأخذ الثالـث: أن الأصوات التي احتجت حل المشكلة أدت إلى مضـاعفتها، حيـث شكلت سياقات صوتية مرفوضة؛ وهي المزدوج الهابط بحذف الواو ثم حذف الأصوات المختلة، والحذف مباشرة أولى من الحذف على هذه المراحل؛ لأن النتيجة النهائية للطريقتين تنحصر في حذف الواو، ولكن الحـذف المباشر أولى من المراحل التي عرضها الشايب، ومع هذا فلم أعمد إلى تحييد رأي الشـايب لخلـل أو اضطراب في التعليل والتحليل الصوتي الذي طرحه، بل إن تحليله على درجة من الدقة، ولكن تحييده جاء من خلال اختصار المـرحلة بالحذف المباشر حسب رأي القدماء، وهو الأولى، ولأن القياس كان للأصل على الفرع، والأولى قياس الفرع على الأصل

وتحـذف شبه الحركة في الناقص عند إسناده إلى ضمير الجماعة، فعند إسـناد الأفعـال دعا، ورمى، ورضي، وسرو إلى واو الجماعة فإنها تأتي على النحو التالي

رموا	ramaw	بفتح الراء والميم وسكون الواو
رضوا	raḍu:	بفتح الراء وضم الضاد بواو الجماعة
سروا	saru.	بفتح السين وضم الراء

والأصـل في هذه الأفعال هو رميوا ramayu.، ورضيوا raḍıyu، وسـرووا saruwu: [1] والتطور الذي جرى على بناء هذه الأفعال جاء على النحو التالي.

ففي الفعل (رميوا :ramayu) نجد المقطع الأخير يتكون من الياء شبه الحـركة والضمة الطويلة، واجتماع الياء والضم مستثقل، فحذف الياء فأصبح بناء الكلمة: (رمو :ramau)، وهنا تتوالى حركتا الفتح والضم في نهاية الكلمة

---

(١) انظر تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، ٦٠

وهنا يحصل انزلاق حركي فتتشكل الواو شبه الحركة في نهاية الكلمة، وتختفي حركة الضم من آخرها، وذلك بفعل الانزلاق النطقي، وهنا لا أتفق مع فوزي الشايب الذي يرى أن الانزلاق يشكل الواو شبه الحركة مع بقاء الضمة في آخر الكلمة، ثم تحذف الضمة للمخالفة بينها وبين الواو شبه الحركة[1]

فالشايب يجعل الكلمة تمر بالمراحل التالية:

ramaw ← ramawu: ← ramau: ← ramayu:

والأولى أن تصل للمرحلة الثالثة مع حذف الضمة من هذه المرحلة

أمـا بالنسـبة للفعل رضيوا فإن الياء تقع بين كسرة وضمة، فتقلب الكسرة ضمة لمماثلة الضمة بعد الياء، و لم تقلب الضمة كسرة؛ لأن الضمة هنا تمثل مورفيم الجمع، وبذلك تقع الياء بين ضمتين، فتسقط لضعفها، فيتحول البـاء إلى رضـو، أي أن الكلمة مرت بالمراحل التالية: رضيوا :raḍiyu ← رضيو، raḍu: ← raḍuyu

ويـرى الشايب أن رضيو، جاءت بسكون الضاد، وللمخالفة بين الياء شـبه الحـركة والواو ضمير الجماعة تسقط الياء، وبسقوطها يتحول البناء إلى رضـوا[2]، والشايب في رأيه بإسكان الضاد (أي عين الفعل) يعتمد على قول سـيبويه: "وسـألته- يعني الخليل- عن قول بعض العرب رضيوا فقال هي بمنـزلة غـزي لأنه أسكن العين"[3]، وإسكان العين هنا لغة القلة؛ فسيبويه يقـول (بعـض العرب)، فإذا كان تحليل الشايب يندرج على لغة من أسكن العين فكيف يعلل لحركة العين؟

---

(١) انظر المرجع نفسه، ص٦١.

(٢) تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، ٦٢

(٣) الكتاب ٤ ٣٨٦

أمـــا الفعل سروا فإن الأصل فيه سرووا saruwu، أي أن الواو شبه حـــركة واقعة بين ضمتين، وهذا يضعفها فتسقط، وبسقوطها يتحول الفعل إلى ســـروا :saru، فـــلا حاجـــة لإسكان العين، ثم حذف للمخالفة كما يرى الشايب[1].

وإذا كـــان القدماء قد تجشموا كثرة التأويلات بحثاً عن اطراد القاعدة، وتخلـــص ما شذ عنها فقد فعل الشايب ما فعلوه؛ وإلا ما الداعي للقول بإسكان الـــراء في: (ســـرووا)، ثم حـــذف الواو شبه الحركة للمخالفة، وترك حذفها لوقوعها بين ضمتين على النطق الأوسع بتحريك الراء بالضم، وفي موطن آخر يســـقط الواو مباشرة في إسناد المضارع (يدعو) إلى ضمير الجماعة، وذلك لعلة وقوعها بين ضمتين[2].

وحـــذف الـــواو شبه الحركة من يدعوون (yadʕuwu:n) مباشرة لوقوعهـــا بـــين حركتين متماثلتين هو الرأي لأسلم والأولى من رأي القدماء القائل بالنقل والحذف[3].

أمـــا إســـناد يـــرمي إلى ضمير الجماعة فالأصل أن يأتي على يرميون yarmiyu:na، وهـــنا تقع الياء شبه الحركة بين كسرة وضمة طويلة؛ فتماثل الكسرة الضمة، فتقع الياء شبه الحركة بين ضمتين؛ وبذلك تسقط شبه الحركة فيتحول الفعل إلى يرمون yarmu:na، وعلة مماثلة الكسرة للضمة هنا لا تكمن في تـــأثير حركة المقطع المنبور كما يشير الشايب[4]، بل تكمن في وجود الثقل

---

(١) انظر تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، ٦٢

(٢) المرجع نفسه، ٦٤

(٣) انظر الخصائص ٣/١٣٦، وانظر شرح شافية ابن الحاجب ٣/ ١٨٢

(٤) انظر تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، ٦٤-٦٥ (وهو بحث علمي قيّم)

في البناء الذي ينتقل من الكسرة إلى الياء إلى الضمة، ولما كانت الضمة تمثل مورفيم الجمع فقد علم استحالة انقلابها إلى كسرة، فلم يبق إلا انقلاب الكسرة لمماثلته

وفي إسناد المضارع الناقص إلى ضمير المخاطبة نجده في (ترمي) يتحول إلى ترمين tarmi:na، والأصل ترميين tarmi:yina فتقع الياء شبه الحركة بين كسرتين فتسقط، وبسقوطها تلتقي الحركات المتماثلة فيتشكل البناء (ترمين (tarmi:na

أما عند إسناد الناقص الواوي من مثل تدعوين tad?uwi na فإن الواو تقع بين ضمة وكسرة، فتقلب الضمة كسرة، فتقع الواو بين كسرتين تدعوين tad?iwi:na، وهنا تسقط الواو شبه الحركة لوقوعها بين كسرتين، فيتحول البناء إلى تدعين tad?i:na، أما علة انقلاب الضمة إلى كسرة للمماثلة هنا فإن ذلك يكمن في كون الكسرة الواقعة بعد الياء تمثل مورفيم التأنيث، فهو قسيب الكسرة الطويلة إلى ضمة لتحول البناء إلى تدعون tad?uwu:na، وهذا البناء يمثل المرحلة قبل الأخيرة عند الإسناد لضمير الجماعة، فالكسر يستخدم للتمييز بين المؤنث والمذكر[1].

ومن هنا فإن قانون المماثلة لا يسير من الأثقل إلى الأخف، بل هناك بعض العوامل التي تلزم التحول الصوتي بالمحافظة على دلالة الكلمة، والفرق بينها وبين ما يماثلها من الصيغ، وبذلك تتحاشى اللبس.

وفي النقاط السابقة حاولت التمثيل لمواطن حذف الحركات وأشباه الحركات، ولم أدع الإحاطة بتلك المواطن؛ لأن غايتي رصد الظاهرة، ومحاولة تعليلها ما أمكن

---

(١) ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، ص٨٥-٨٧

الخاتـــمة

حاولـــت هـــذه الدراســـة إلقاء الضوء على الحركات في اللغة العربية وأثرها في بناء الكلمة، ومغايرة ذلك البناء، وقد تناولت هذه الدراسة الحركات في اللغة العربية في المراحل الأولى، وتطور الاهتمام بها لدى علماء العربية، وقد عرضت الدراسة لمواضع النطقية للحركات، وعدد الحركات، والكمية الزمنية، وتناولت الدراسة العلاقة بين الحركات وقانوني المماثلة والمخالفة، وكذلك العلاقة بين الحركات وقانوني القلب والحذف، وقد خلصت الدراسة إلى الآراء التالية

لم تجـــد الحـــركات في اللغـــة العربية الاهتمام الذي أخذته الصوامت فكانـــت نتيجة ذلك بقاء بعض الظواهر اللغوية دون تعليل يكشف أسرارها، وممـــا يظهـــر تأخر الاهتمام بالحركات، ومحدودية ذلك الاهتمام أن مصطلح الحركات لم يتبلور بالمفهوم الصوتي إلا في عهد ابن جني.

وقد خلصت الدراسة إلى عدم وجود مخارج محددة للحركات، وذلك لأنهـــا ليســـت احتكاكـــية، فلا تلتقي الأعضاء النطقية التقاء كاملاً يؤدي إلى الاحـــتكاك عـــند إنتاجها، وقد أكدت الدراسة آراء العلماء السابقين بأن عدد الحركات في العربية ثلاث حركات قصيرة، يقابلها ثلاث حركات طويلة خلافاً لما طرحه بعض العلماء.

وتبين أن الكمية الزمنية للحركات في اللغة العربية تتأثر ببعض العوامل؛ ومنها طبيعة الأصوات المجاورة من حيث الجهر والهمس، والاستمرار والوقف، والتضـــعيف وعدمه، وقد حاولت الدراسة تعيين هذا التفاوت، ومن أمثلة ذلك زيـــادة كمـــية الحـــركة المتبوعة بصوت مجهور على الحركة المتبوعة بصوت مهمـــوس، وذلك بفعل تداخل الجهر؛ حيث يتم التحول من مجهور إلى مجهور،

وهذا يؤدي إلى بناء الأوتار الصوتية على الوضعية نفسها، فتتداخل الجهر، ومن هنا تزداد كمية الحركة المتبوعة بمجهور

وقد تبين أن الحركة القصيرة المسبقة من الحركة الطويلة بفعل عامل الجزم تقل في كميتها عن الحركة القصيرة أصلاً، وذلك برصدها على الأجهزة المخبرية.

وخلصت الدراسة إلى وجود المماثلة بين الحركات والصوامت في التفخيم والترقيق، وأثر ذلك في تقدم أو تأخير مخرج الصوت، وحاولت دراسة المماثلة بين الحركات بعضها بعضاً، والمماثلة بين الحركات وأشباه الحركات، وتبين لي أن للمماثلة والمخالفة أثراً في بناء الكلمة، وذلك من خلال قلب الحركة، وقلب شبه الحركة، إما للمماثلة وإما للمخالفة.

وخلصت الدراسة إلى تعليل بعض الصيغ كما في جموع التكسير حيث تبين أن الياء في مثل: سلاطين، ومفاتيح منقلبة عن ألف المفرد في هذه الصيغ وذلك لوجود عدد من الحركات المتماثلة في هذه الكلمة، ولوقوع النبر على الحركة الطويلة الأخيرة، وهي حركة المفرد، وهذا يوقع في اللبس بين المفرد والجمع فقلبت تحاشياً لذلك

وتبين أن علة امتناع تصغير عجوز وما شاكلها على عجيوز ʔujau:z وهي ابتداء المقطع الأخير بحركة وهذا البناء المقطعي مرفوض في العربية

وأظهرت الدراسة أن الأصل في الفعل المضارع المعتل الآخر أن يقاس على المضارع الصحيح، وبذلك تحذف شبه الحركة بوقوعها بين حركتين متماثلتين أصلاً، أو لوقوعها بين حركتين متماثلتين بعد مرور إحداهما بمراحل المماثلة

وانتهت الدراسة إلى أن الحركة الطويلة تقصر عندما لا يكون طولها مورفيمياً، أي لا تمثل كميتها دلالة صرفية، وليس الأمر ما ذهب إليه بعض العلماء بقولهم، تقصر الحركة الطويلة عندما تكون متبوعة بصامت ساكن، وقد أسندت رأيي بالأدلة العربية والتراثية

وتبقى الدراسات الإنسانية قابلة للتطوير، وآراؤها ليست نهائية، وقد حاولت أن يكون هذا البحث امتداداً للمراحل السابقة، وليس تكراراً لتلك المراحل.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

٢- إبراهيم أنيس، **في اللهجات العربية**، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م.

٣- أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢م.

٤- أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨١م.

٥- الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، **معاني القرآن**، تحقيق فائز فارس، ط٢، الكويت، ١٩٨١م.

٦- أرسطو، **فن الشعر**، ترجمة إبراهيم حماده، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.

٧- الأزهري- أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م

٨- الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت

٩- إسماعيل عمايره، **ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية**، ط٢، دار حنين، الأردن، ١٩٩٣م.

١٠ الأنباري- كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن **الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ١٩٨٢م

١١ برجشتراسر **علم الأصوات**، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٨٤م

-١٢ بروكلمان **فقه اللغات السامية**، ترجمة رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٧م

١٣ بسام بركة. **علم الأصوات العام- أصوات اللغة العربية**- الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٨م

١٤ جان كانتينو **دروس في علم أصوات العربية**.ترجمة صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م

١٥ ابن جني أبو الفتح عثمان **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، ط٣، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٨٦م

-١٦ ابن جني- أبو الفتح عثمان . **سر صناعة الإعراب**، تحقيق حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م

١٧ ابن جني أبو الفتح عثمان . **المنصف**، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، ط١، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ١٩٥٤م.

١٨ ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد . **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ١٩٧١م

-١٩ الخليل بن أحمد الفراهيدي. **العين**، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم أنيس، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م

٢٠- داوود عبده. **أبحاث في اللغة العربية**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٣م

٢١- داوود عبده **دراسات في علم أصوات العربية**، مؤسسة الصباح، الكويت، ١٩٧٠م.

٢٢ رمضان عبد التواب **التطور اللغوي- مظاهره وعلله وقوانينه-** مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت

٢٣- سلمان العاني **التشكيل الصوتي في اللغة العربية**، ترجمة ياسر الملاح، ط١، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م

٢٤ سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان- **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، عالم الكتب، ١٩٨٣م

٢٥- ابن سينا أبو علي الحسين- **رسالة أسباب حدوث الحروف**، تحقيق محمد الطيان، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م

٢٦ السيوطي عبد الرحمن بن الكمال . **الأشباه والنظائر في النحو**، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٥م

٢٧- السيوطي عبد الرحمن بن الكمال **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق عبد السلام هارون، وعبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، د ت

٢٨- شرف الدين علي الراجحي **البسيط في علم الصرف**. دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩م

٢٩ صلاح الدين حسنين. **المدخل إلى علم الأصوات- دراسة مقارنة**، ط ١، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٨١م.

٣٠- الصيمري عبد الله بن علي بن إسحاق . **التبصرة والتذكرة**، تحقيق فتحي أحمد مصطفى، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م

٣١ الطيب البكوش. **التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث**، ط٢، المطبعة العربية، تونس، ١٩٨٧م.

٣٢- عباس حسن. **النحو الوافي**، ط٥، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م

٣٣ عبد الرحمن أيوب. **أصوات اللغة**، ط٣، مطبعة الكيلاني، مصر، ١٩٦٨م.

٣٤- عبد الرحمن أيوب. **الكلام إنتاجه وتحليله**، ط١، مطبعة جامعة الكويت، ١٩٨٤م.

٣٥- عبد الصبور شاهين. **أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي**،ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م

٣٦ عبد الصبور شاهين. **في التطور اللغوي**، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٣٧- عبد الصبور شاهين **المنهج الصوتي للبنية العربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.

٣٨ عبد العليم إبراهيم. **تيسير الإعلال والإبدال**، مكتبة غريب، مصر، ١٩٦٩م.

٣٩ عبد الغفار حامد هلال **أصوات اللغة العربية**، ط٢، القاهرة، ١٩٨٨م.

٤٠ عبد الله العلايلي. **مقدمة لدرس لغة العرب**، المطبعة العصرية، مصر، د. ت.

٤١- ابن عقيل - بهاء الدين عبد بن عقيل . **شرح ابن عقيل**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، د. ت.

٤٢ علي حلمي موسى. **إحصائيات جذور معجم لسان العرب**، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٢م.

٤٣- أبو عمر الداني- عثمان بن سعيد-. **المحكم في نقط المصاحف**، تحقيق عزة حسن، دمشق، ١٩٦٠م.

٤٤- العيني- بدر الدين محمود بن أحمد-. **شرح المراح في التصريف**، تحقيق عبد الستار جواد، د. ت.

٤٥- غالب المطلبي. **في الأصوات اللغوية- دراسة في أصوات المد العربية**، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٤م.

٤٦- الفارسي- أبو علي الحسن بن أحمد-. **الحجة في علل القراءات السبع**، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

٤٧- الفخر الرازي- فخر الدين الرازي-. **التفسير الكبير**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٤٨- الفراء- أبو زكريا يحيى بن زياد-. **معاني القرآن**، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.

٤٩- فندريس. **اللغة**، تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.

٥٠- كمال بشر. **دراسات في علم اللغة**، ط٩، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦م.

٥١- كمال بشر. **علم اللغة العام- الأصوات**، ط٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

٥٢- ابن مالك- أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله- **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.

٥٣- محمد الخولي. **الأصوات اللغوية**، ط١، مكتبة الخريجي، الرياض، ١٩٨٧م.

٥٤- محمود السعران. **علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي**، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت.

٥٥- محيي الدين رمضان. **في صوتيات العربية**، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، د. ت.

٥٦- مكي بن أبي طالب. **الرعاية لتجويد القراءة**، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط٢، دار عمار، عمان، ١٩٨٤م.

٥٧- مكي بن أبي طالب. **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م.

٥٨- الميداني- أحمد بن محمد-. **نزهة الطرف في علم الصرف**، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، د.ت.

٥٩- ابن النديم. **الفهرست**، تحقيق رضا تجدد بن علي، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٧١م.

٦٠- هنري فليش. **العربية الفصحى- نحو بناء لغوي جديد**، تعريب عبد الصبور شاهين، ط٢، دار المشرق، بيروت، د. ت.

٦١- ابن يعيش- موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش-. **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٦٢- ابن يعيش- موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش-. **شرح الملوكي في التصريف**، تحقيق فخر الدين قباوة، ط١، المكتبة العربية، حلب، ١٩٧٣م.

الدوريات:

١- أحمد الحمو. محاولة ألسنية في الإعلال، **مجلة عالم الفكر**، المجلد العشرون العدد الثالث، الكويت، ١٩٨٩م.

٢- إسماعيل عمايره. ظاهرة القلقلة في الأصوات الانفجارية.

٣- جعفر عبابنه. في حقيقة الإدغام، **أبحاث اليرموك**، المجلد الثالث، العدد الثاني، ١٩٨٥م.

٤- حسام النعيمي. التحول والثبات في أصوات العربية، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، المجلد السابع والثلاثون، الجزء الأول، ١٩٨٦م.

٥- خالد إسماعيل. ألف التفخيم في اللهجات العربية الحديثة في منطقة الجزيرة العربية، **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، العدد الخامس عشر، ١٩٧٢م.

٦- سمير استيته. الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية، **مجلة البلقاء**، المجلد الثاني، العدد الأول. ١٩٩٢م.

٧- سمير استيته. ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات- جهاز مبتكر لقياسها، **أبحاث اليرموك**، المجلد السادس، العدد الأول، ١٩٨٨م.

٨- فوزي الشايب. تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، **حوليات كلية الآداب**، الحولية العاشرة، جامعة الكويت، ١٩٨٩م.

الرسائل الجامعية:

١- آمنة بن مالك. **مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي**، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، ١٩٨٧م.

٢- خلدون الهيجاوي. **ظاهرة الوضوح السمعي في الأصوات اللغوية**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٢م.

٣- فوزي الشايب. **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية**، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر، ١٩٨٣م.

٤- المهدي بوروبه. **المصطلحات الصوتية عند النحاة واللغويين العرب**، رسالة ماجستير، جامعة حلب، ١٩٨٩م.